
يا صاحب الرسالة
خالد أبو شادي
د. خالد أبو شادي

هتاف البداية

يا صاحب الرسالة . .

يا مقتفي الأثر الرائع . . أثر محمد وصحبه . .

يا لابس لأمته في معركته مع الباطل

يا خليفته في دعوته

يا راقي منبره لتعظ الأمة من خلفه

أيها الوارث لرسالته

يا من تسلّم الراية منه قبل أن تسقط . .

هل سقطت منك الراية؟!

يا من حمل شعلة الهداية من يده لتنير بها الوجود . .

هل انطفأت بين يديك الشعلة؟!

هذه رسالتي إليك إن كان عزمك قد وهن، وعهدك قد نُسي.

هذه وصيتي

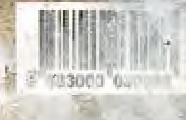
لمن زار الفتور روحه، وانخفضت درجة حرارة قلبه، وتعرّض لوعكة روحية طارئة أو مزمنة.

ولمن . .

توالت عليه المسئوليات فاضطربت عنده الأولويات: الدنيا ومشتقاتها على رأس القائمة والآخرة في المؤخرة!!

كلمات لازمة لبري سهام الدعوة لتكون نافذة في طبقات الغفلة الكثيفة التي أحاطت بالقلوب، فتصيبها بإذن الله إصابة مباركة.





الهاتف:- 0233026637- 0233446727 0233465252
رقم الإيداع: 24128/ 2009
الترقيم الدولي: 4/ 043/ 426 / 977/ 978
Email: rayatop@hotmail.com
website: www.khaledaboshady.com

توزيع




يا صاحب الرسالة ﷺ



1431 هـ - 2010 م

اسم الكتاب : يا صاحب الرسالة
اسم المؤلف : د / خالد أبو شادي
مقاس القطع : 15 X 23
الإيداع القانوني : 24128 / 2009
الترقيم الدولي : 8 - 043 - 426 - 977 - 978
عدد الألوان : 2 لون

تليفون : 0233446727 فاكس : 0233026637
E-mail : rayatop@hotmail.com



توزيع
ميديا برو تك
MEDIA PRO . TEC





يا من تُعرف وسط ألوف البشر، كسبيكة الذهب الأصلية بين الزيف، وحبة اللؤلؤ الطبيعي في كومة الخرز الرخيص.

يا صاحب الرسالة...

هذه رسالتي إليك إن كان عزمك
قد وهن، وعهدك قد نُسي..

هذه وصيتي:

لمن.. زار الفتور روحه، وانخفضت درجة حرارة قلبه، وتعرَّض لوعكة روحية طارئة أو مزمنة.

ولمن.. توالت عليه المسئوليات فاضطربت عنده الأولويات: الدنيا ومشتقاتها على رأس القائمة والآخرة في المؤخِّرة!!

كلمات لازمة لبري سهام الدعوة لتكون نافذة في طبقات الغفلة الكثيفة التي أحاطت بالقلوب، فتصيبها بإذن الله إصابة مباشرة.

وحين تحمل أخي هم الدعوة يبارك الله في الكلمة المنطلقة من قاعدة قلبك لتُحدِث أعظم الأثر، وغيرك من المفوهين يدبِّج مئات الخطب ولا يكاد يرى لها أثرا.



هو و هي



اعلم أنني أثناء الكتاب سأخاطبك مرة وأخاطبها مرة.

فأنتَ هي وأنتِ هو، وأنتما في المسئولية وحمل همِّ الدعوة سواء، وفي المهمة الموكلة إليكما بنصرة الله ورسوله شركاء، فمتى رأيتَ الخطاب لها فاعلم يا أخي أنه يشملك، ومتى رأيتِ الخطاب له فاعلمي يا أختي أنه يخاطبك.

كلاكما في موكب الدعوة سائر، ولعلها الأكفأ لأن بنات جنسها أرق عاطفة وأشد تأثرًا وبالتالي أسرع اهتداء.

وأنا هنا لست غير مقتدٍ بالنبي ﷺ حين خصَّ حواء بالموعظة، فعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خرج ومعه بلال، فظنَّ أنه لم يُسمع فوعظهن وأمرهن بالصدقة، فجعلت المرأة تُلقي القرط والخاتم، وبلال يأخذ في طرف ثوبه.

وبوَّب لذلك الإمام البخاري في صحيحه: باب عظة الإمام النساء وتعليمهن، وبعدها ببابين عقد بابًا خاصًا لهذه المسألة سمَّاه: هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم؟!

وأورد هنا حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قالت النساء للنبي ﷺ: غلبَنا عليكَ الرِّجال، فاجعل لنا يومًا من نفسك، فوعدهن يومًا لقيهن فيه فوعظهن وأمَرَهُنَّ، فكان

فيما قال لهن: ما منكن امرأة تقدِّم ثلاثة من ولدها إلا كان حجابًا من النار، فقالت امرأة: واثنين؟ فقال: واثنين.

ثم عقد بابًا آخر في كتاب الصلاة من صحيحه، فقال: باب موعظة الإمام النساء يوم العيد.

قال ابن حجر رحمه الله:

«وفي هذا الحديث من الفوائد أيضًا استحباب وعظ النساء وتعليمهن أحكام الإسلام، وتذكيرهن بما يجب عليهن، ويستحب حثهن على الصدقة، وتخصيصهن بذلك في مجلس منفرد، ومحل ذلك كله إذا أمن الفتنة والمفسدة»[1].

يا كل الرجال.. كلكم!!

الدعوة إلى الله فرض عين على كل مسلم ومسلمة.. نعم ومسلمة!!

كثيرٌ من الآباء والأزواج اليوم يريدون أن يقصروا دور المرأة الدعوي على بيتها، فيستحوذ أحدهم على كل ذرة جهد من زوجته وكل لحظة من وقتها، وهو نوع من الأنانية عجيب، أن يرى خطط شياطين الإنس والجن في استخدام النساء كأخطر وسيلة من وسائل الإضلال والغواية اليوم، ثم لا يرضى أن تشارك زوجته أو ابنته في خطط الإنقاذ ومحاولات النجاة!!

وإلا فقل لي بربك: من يدعو نصف المجتمع؟! من يدعو نساءنا وبناتنا؟! من ينزع فتيل الانفجار الشهواني من قبضة العدو؟! من يهدي بنات حواء اللاتي يراد لأخلاقهن أن تتدمر ثم تُدمِّر أخلاق الجميع؟! من ينقذهن؟! أنتم معاشر الرجال أم بنات جنسهن؟!

(١) فتح الباري ٢/٤٦٨- ط دار المعرفة.





على كفة الميزان

والجديد الثاني في هذا الكتاب، والذي أعتبره من أهم أجزائه ما جاء تحت عنوان: (على كفة الميزان)...

والغرض منه أن تزن قدرك وتقيس نفسك وتحدِّد موقفك من الكلام الذي تقرأ، وهذه هي الخطوة الأولى في طريق التغيير: أن تحدِّد موقعك بدقة، وبناء عليه تعرف اتجاه السير والسرعة اللازمة لبلوغ الهدف.

ولهذا ستجد بين ثنايا هذا الكتاب استطلاعات رأي كاشفة، ليس الغرض منها التوجيه والإملاء، بل لها - من وجهة نظري - وظيفتان:

الأولى: أن تبصِّرك بغير المرئي، وتجعل غير الملموس لديك ملموسا، فإذا أردت مثلا أن تقيس نفسك في حمل همِّ الدعوة وضع استطلاع الرأي بين يديك ما غاب عنك من مظاهر حمل هذا الهم النبيل، ونبَّهك إلى جوانب خفية ودقائق منسية.

أما المهمة الثانية لهذه الموازين، فهي أن تزن بها نفسك أمام نفسك، وهو مؤشِّر أولي على وزنك الحقيقي عند ربك، وتأهيل لوقوفك غدا بين يديه.

ولن يتوقف دور هذه «الكواشف» عند هذا الحد، بل سيستمر فترة من الزمن، تكون فيها قد تفاعلتَ مع نبض الكتاب وشرعت في العمل به.

وبعدها - ولإتمام الفائدة - أوصيك أن تملأ الاستطلاع مرة أخرى لتعرف هل أفدت من الكتاب وأحدث معك أثره، وتدرك بهذا مقدار تقدمك وسرعة تحسنك.





التفاؤل الأخضر



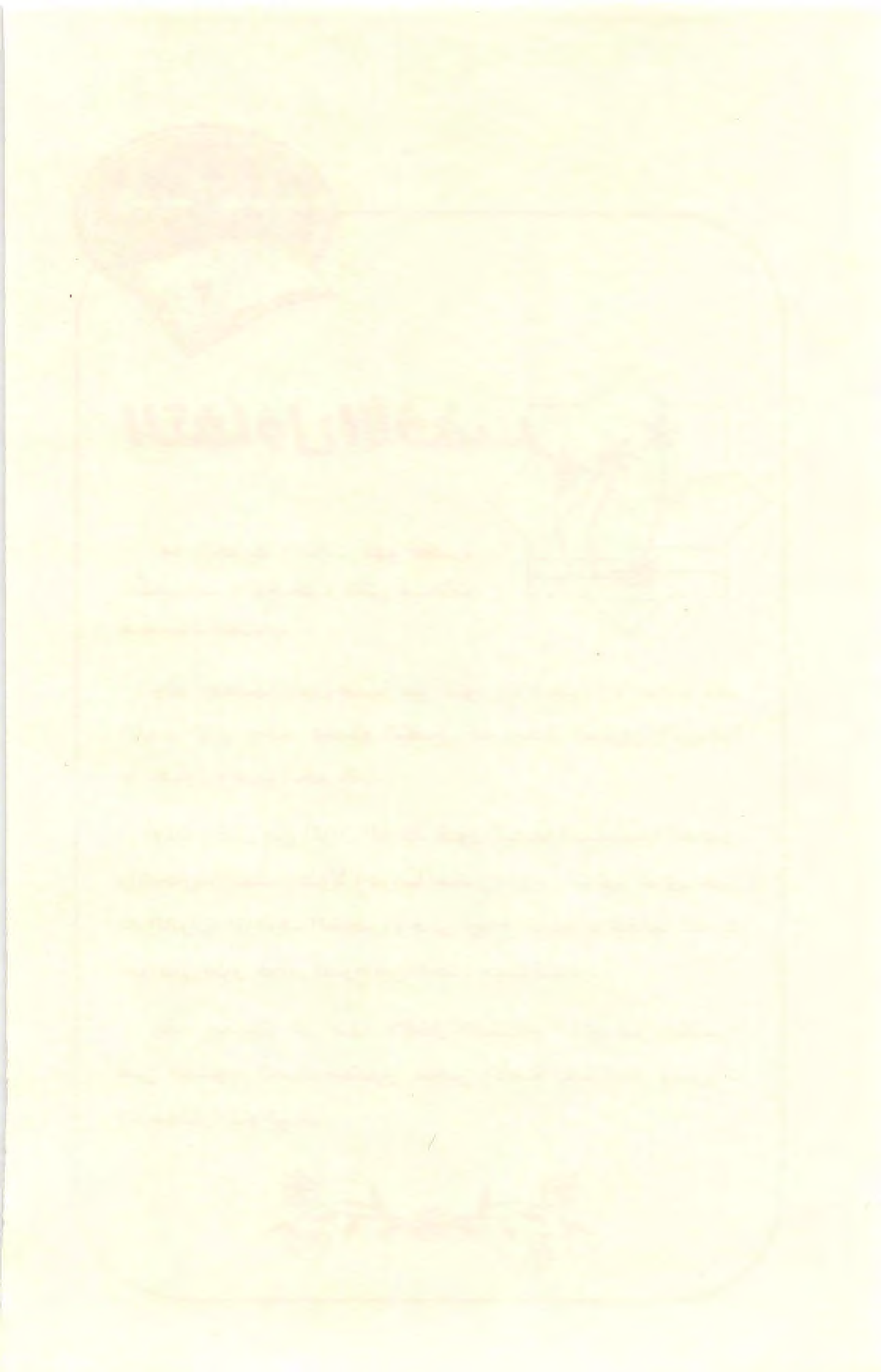
أما الجديد الثالث فهو كثرة التجارب الناجحة التي ملأت صفحات الكتاب...

وقد جعلتها بلون مميز هو اللون الأخضر، ولا عجب فهو اللون الذي وجد علماء النفس أنه يبعث السرور والبهجة والتفاؤل وحب الحياة...

ولذا كان من ألوان الجنة، فلون ثيابها السندسية أخضر، وأشجارها الممتدة طولاً وعرضًا خضراء، ومن أثاثها الذي أخبر به القرآن: الرفرف الخضر، وحتى أرواح الشهداء جعلها الله في حواصل طير خضر تسرح من الجنة حيث تشاء..

وقد عمدت إلى هذا لأقتل التشاؤم الذي غزا كثيرًا من القلوب تحت مطارق محن الأمة المتتالية، وغزوات الشيطان المتوالية.









لهذا الكتاب موقع إلكتروني خاص أوصيك بزيارته:

www.sahebresala.com

وسيكون فرصة رائعة للتواصل بين حملة الرسالة، وفيه فرصة للتعليق على فقرات مختارة من الكتاب، وسيتم الاستفادة من هذه التعليقات والمشاركات في الطبعات القادمة بإذن الله.

مع اشتمال الموقع على استطلاعات الرأي الموجودة بين ثنايا الكتاب ليكون بمقدورك إدخالها إلكترونيًا، ومشاهدة النتائج على الفور، وكل هذا وغيره تجده على موقع الكتاب.







أشهر معي قلمك

وأدلِ بتجربتك الدعوية التي عايشتها بنفسك أو رأيتها، وسيتم اختيار أفضل مائة تجربة وفق مقاييس معينة، لتساهم بذلك في إخراج ٣ كتب جديدة تولد بإذن الله من رحم هذا الكتاب تحت العناوين التالية:

← (١٠٠) تجربة دعوية ناجحة في ميدان العمل.

← (١٠٠) تجربة دعوية ناجحة مع الجيران.

← (١٠٠) تجربة دعوية ناجحة مع الأقارب.

← (١٠٠) تجربة دعوية ناجحة أخرى.

لتنال بذلك أجر الصدقة الجارية، ونتشارك سويا قصص النجاح، ونتبادل الخبرات، ونحل لمشكلات، ونتعلم فن غزو القلوب واصطياد العصاة، وعند اكتمال التجارب المائة سيتم إخراج الكتاب الجديد الذي اشتركتم جميعا في صياغته، وذلك عبر موقع الكتاب الإلكتروني: (www.sahebresala.com).

ويمكنك وقتها تحميله والاطلاع عليه ليمثِّل الشق العملي من هذا الكتاب، وهو جزء لا يتجزأ من هذا الكتاب، ويشكِّل بحق عصارة تجارب ومنخولات مواقف، فأعينوني بقوة أجعل لكم مما تكتبون دُرَرا، وتشاركونني في هذا الكتاب أجـرا.



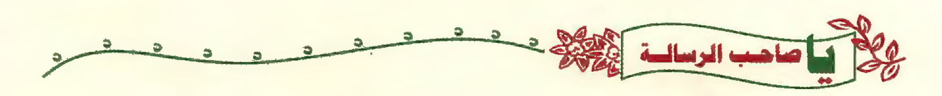
إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].





أما بعـــد..

فهذا الكتاب ديوان من دواوين الحماسة، وشعلة من شعلات العزم توقد البأس وتقدح زناد الفكر وتُعلي الهمم.

هو عصارة هَمٍّ وزفرة ألم.. أوجِّهها إلى من نسي مهمته وانشغل عن رسالته وأخذته دنياه بعيدا عن غايته.

وليس له فحسب.. بل لكل مسلم حيث نصرة الدين أمانة في عنقه مهما كان عليه من عصيان.



ليس هذا كتابًا لطائفة خاصة من الأمة أو للصفوة من دعاتها... بل للأمة بأسرها، ولكل لمن يعقل عن الله ورسوله ﷺ رجلاً كان أو امرأة، شابًا كان أو شيخًا، أيًّا كان موقعه أو درجة قربه أو بعده عن ربه، ومهما كان علمه وثقافته، حيث واجب نصرة الدين قد طوَّق عنق الجميع، من آكل الحرام إلى المتهجِّد بالقيام، ومن مرتكِب الفحشاء إلى الطامع في درجات الشهداء.

وهو كتاب ينتفع به ذو الشيبة الذي يمتلك عزمًا وهمة، ولا ينفع الشاب مقعد الهمة دنيوي السعي.

وما شجَّعني على الكتابة في هذا الموضوع هو ما لاحظته من تألم وحماس كثير من أبناء أمتنا على أحوالنا، واحتراقهم كمدا تحت وقع مصائبنا إلا أنهم مع إخلاصهم لم يتجهوا إلى أصل المشكلة وحل المعضلة، وذلك بانتقالهم من دائرة الصلاح إلى دائرة الإصلاح، ومن قاعدة التأثر إلى منصة التأثير.

وأنا هنا أختصر بهم الطريق إلى الغاية المنشودة والتمكين المرتقب لهذا الدين، وأضع بين أيديهم خطة تغيير واقعنا المرير، فيدكم هي اليد اللازمة لانتشالنا من الهوة السحيقة التي فيها تَرَدَّينا، ويد الله فوق أيديكم، وقلوبكم إن اشتعلت إيمانا وعزما استرشدت بها الأمة السائرة في الظلماء، وعندها يفيض الله عليكم من نوره، وقد استرعاكم الله أمانة الإنقاذ وعهد إليكم بإنقاذ الأمانة لينظر كيف تصنعون؟!

وأنا والله لو نظَمتُ كلامي في هذا الكتاب كالدُّرر، وأرسلتُه رائقا كنسيم السَّحر، وزاهيا كألوان الزَّهَر ما كان ذا قيمة أو أثر إلا أن تتفاعل معه أرواحكم، فتعملوا بما جاء فيه.



كتابٌ أتقرَّب به إلى ربي في حياتي وبعد مماتي عساه يبعث أموات الأحياء، فترتقي به درجتي في الجنة بعد موتي، لأصبح فرحان جذلا في قبري: أنَّى لي يا رب وقد فارقتُ الدنيا، فيُقال: ببركة كتابك هذا، واستغفار إخوانك الدعاة لك.

ولضربةٌ من كاتبٍ بمداده أمضى وأنفذ من غرار حسام

أسأل الله أن يكون كتابي هذا سيفا في قلب الشيطان ليقتل العجز والكسل في قلب كل مسلم، وبذرة أبذرها في أفئدة المصلحين، رجاء أن يخرج منها سبعمائة ثمرة بإذن الله أو يزيد!!

أخي... ربما كان البكاء على حال الأمة كافيا في حق غيرك، أما أنت فدموعك وأحزانك لهما وظيفتان: رفع الحق ودفع الباطل.

وأسأله كذلك أن يبارك في ولدي هذا، فأراه يافعًا بين الكتب حين ينفع الله به، ويفتح على الأمة بحروفه وكلماته، فيشهد لي بين يديه سبحانه حين أقف عاريًا إلا من عملي، مستأنسًا بقول أبي الفتح علي بن محمد البستي:

يقولون ذكرُ المرءِ يبقى بنسله وليس له ذكرٌ إذا لم يكن نسلُ

فقلتُ لهم نسلي بدائعُ حكمتي فمَنْ سرَّه نسلٌ فإنَّا بذا نسلو

الفقير إلى عفو ربه ورضاه







الفصل الأول:

مهموم بدعوتي





اقرأ كلمات هذا الفصل مستحضرا نية واضحة وقلبك متوجه نحو هدف سامٍ، فقد كُتبت خصيصا لك، وصيغت حروفها بدقة على قدر مهمتك لتكون بمثابة:

- ✓ فاتحات شهية نحو البذل الدعوي.
- ✓ قاتلات الوهن الإبليسي.
- ✓ حارقات أثواب الفتور ومحطِّمات أسِرَّة الكسل.

وكيف لا تحمل هَمّ دعوتك!!

- وأنت ترى المنكرات تملأ الأرجاء، حتى لو رآنا رسول الله ﷺ لأنكرنـــا.
- وأنت تخرج للأسواق فلا ترى غير شباب تائه يبحث عن فريسة تتعرَّض له وتتهادى بين يديه!!
- وأنت تعيش في أمة المليار ومع هذا لم تحصد في ميادين الإنجاز سوى الأصفـــار!!



- وأنت ترى التبرج يستشري والعري يسري وحجاب بناتنا يذوي، وإن ارتدينه فمظهر لا جوهر وشخص بلا روح، فلا سلوك يدل عليه أو آداب تبشِّر به.
- وأنت ترى أمة الأخلاق وريثة النبي ذي الخلق العظيم تكفر بأخلاق هذا النبي الكريم ليحمل الكافرون بضاعتنا بعد أن بعناها في سوق الهجران.
- وأنت ترى غزة الأبية تعاني ما لو مَرَّ بالحديد لذاب وبالوليد لشاب؟!
- وقد علا صوت الباطل وخفت صوت الحق، وصار الأمر إلى ما قال شيخ الإسلام مصطفى صبري:

إذا قلتُ المحال رفعتُ صوتي … وإن قلتُ اليقين أطلتُ همسي

- والدعوة كل يوم تطلبك وتستصرخ نجدتك وترتقب عودتك، ودينك الذي هو أغلى الأشياء أضحى وأمسى تحت القصف ولا ناصر أو مغيث؟!

١) قيمتك همّتك:

يقول شيخ الإسلام **ابن تيمية**:

«العامة تقول: قيمة كل امرئ ما يُحسن، والخاصة تقول: قيمة كل امرئ ما يطلب»[1].

---

(١) مدارج السالكين ٣/٣ - دار الكتاب العربي - بيروت.



وفي ضوء هذه القول الساطع..

ما هو قدرك عند الله؟! كم تزن عنده؟! ما قيمتك الحقيقية من غير أموالك وجاهك وسلطانك؟!

تريد أن تعرف؟!
اسأل نفسك:
ما هو همُّك؟! ما أحلامك.. أقصى طموحاتك؟!

- دنيا زائلة ومتاع فان؟!
- وظيفة مغرية تمتص رحيق شبابك لتذبل بعدها زهرة حياتك؟!
- منصب مرموق تسعى إليه ثم تُعزَل عنه عاجلا أو آجلا؟!
- امرأة تحبها ثم ينزل بكما الموت فتغادرها أو تغادرك؟!
- أم أن همَّك جنةٌ أبدية عرضها السماوات والأرض، يفوز بأعلى درجاتها من بلغ أعلى درجات الإيمان في الدنيا، وهل أعلى من العمل أجيرا عند الله لتبليغ رسالته ونشر هدايته؟!

وهل هناك ما هو أحسن من الدعوة إلى الله؟!

والجواب حاضر في كتاب ربِّك:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣].

صاحب الرسالة خبير بالأعمال (ومراتبها عند الله، ومنازلها في الفضل، ومعرفة مقاديرها، والتمييز بين عاليها، وسافلها، ومفضولها وفاضلها، ورئيسها ومرؤوسها، وسيدها ومسودها؛ فإن في الأعمال والأقوال سيدا ومسودا، ورئيساً ومرؤوسا، وذروة وما دونها)[1].

وإنه لشرف عظيم ونعمة عظمى أن اصطفاك الله من وسط خلقه لتحمل رسالته، وتنال شرف الاتباع: اتباع نبيه ﷺ واقتفاء أثره، وكفى به شرفا، فهذه وحدها كافية لأن تُحشر تحت لوائه وتجالسه على سرير واحد في واحد من قصور الجنة، وهو ما علمته ثم عملت به -بارك الله فيك- حين غاب عن كثير ممن حولك. يقول ابن القيِّم:

«ولا يكون من أتباع الرسول على الحقيقة إلا من دعا إلى الله على بصيرة. قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾، فقوله ﴿ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ تفسير لسبيله التي هو عليها، فسبيله وسبيل أتباعه: الدعوة إلى الله، فمن لم يدع إلى الله فليس على سبيله»[2].

والدعوة إلى الله تعالى - كما علمك من ربَّاك ودعاك - هي وظيفة المرسلين وأتباعهم، ولأنها أشرف المهام فقد سبقت غيرها من الأعمال كما أشار إلى ذلك ابن القيِّم:

(١) مدارج السالكين ١/٢٢١.
(٢) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه ٢١/١ - فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية.

«وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو لأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس، وأما تبليغ السنن فلا تقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم جعلنا الله تعالى منهم بمنِّه وكرمه»(١).

ولأن الدعوة سبقت غيرها من الأعمال فقد سبق حاملوها غيرهم من العُبَّاد. قال **ابن القيم** وهو يكسوكم حلل الثناء ويعدكم أحلى الجزاء:

«وهؤلاء هم خواص خلق الله، وأفضلهم عند الله منزلة وأعلاهم قدرا»(٢).

ولا عجب أن علت مكانتكم الشمس وناطحتم السحاب، فليس ينقص من قدركم شيء، ولا ينال من كرامتكم خلق، وكأنكم من عناهم **المتنبي** بقوله:

من كان فوق محلِّ الشمس موضعه فليس يرفعه شيءٌ ولا يضع

ولكنها خيرية ليست مرسلة دون دليل، بل تسبقها صحائف أعمالكم، وتتكلم عنها سجلات إنجازاتكم، وفي مقدمتها:

«كم من قتيلٍ لإبليس قد أحيوه، وضالٍ تائه قد هدوه، بذلوا دماءهم وأموالهم دون هلكة العباد»(٣).

من أجل هذا كلِّه رأى **عمر بن الخطاب** ﷺ في وجودكم نعمة ربانية ومنحة إلهية تستوجب الحمد، فقال ﷺ:

---

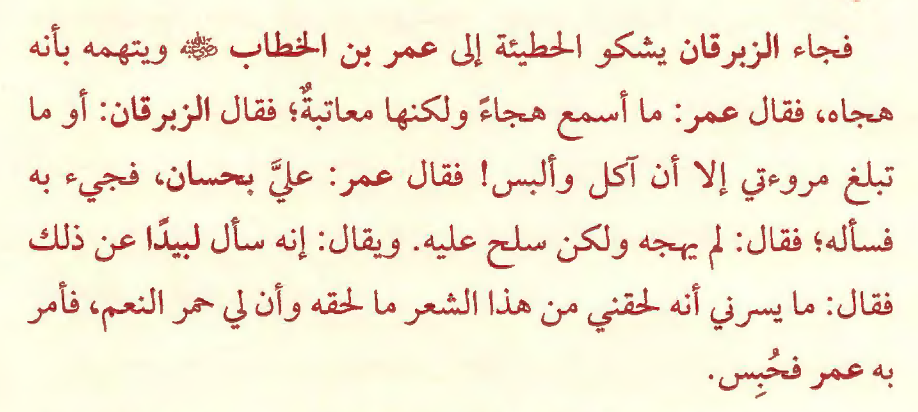
(١) جلاء الأفهام ٤١٥/١ – ط دار العروبة – الكويت.
(٢) مفتاح دار السعادة ١٥٣/١ – ط دار الكتب العلمية – بيروت.
(٣) جلاء الأفهام ٤١٦/١.



«الحمد لله الذي امتن على العباد بأن جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضلَّ إلى الهدى»[1].

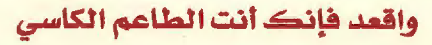
فكيف لا تحتل الدعوة بعد هذا كله قمة الاهتمامات وذروة الأولويات، وكيف لا تتحرَّق شوقا للعمل في صفوفها ورفع لوائها؟!

أما الهمـــة السافلــــة!!



يروي الرواة أن الحطيئة هجا الزبرقان بقصيدة قال فيها:

دعِ المكـارم لا ترحـــل لبُغيتهـــا



واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فجاء الزبرقان يشكو الحطيئة إلى عمر بن الخطاب ﷺ ويتهمه بأنه هجاه، فقال عمر: ما أسمع هجاءً ولكنها معاتبةٌ؛ فقال الزبرقان: أو ما تبلغ مروءتي إلا أن آكل وألبس! فقال عمر: عليَّ بحسان، فجيء به فسأله؛ فقال: لم يهجه ولكن سلح عليه. ويقال: إنه سأل لبيدًا عن ذلك فقال: ما يسرني أنه لحقني من هذا الشعر ما لحقه وأن لي حمر النعم، فأمر به عمر فحُبِس.

فانظر كيف كانت همَّة الطعام والشراب معيبة، وعارا لا يفارق صاحبه، وسُبة في جبينه تلزمه أبد الدهر حتى الموت!!

---

(١) الصواعق المرسلة ٩٢٨/٣ – ط دار العاصمة – الرياض.

وانظر بعدها إلى همم الناس حولك، هل تجدها اليوم إلا في زوجة حسناء وحلم بقصر مشيد ونزهة ومتعة وأكلة وشربة؟! هل ترى أكثرهم إلا حافظي أموال ومضيعي دين!! في دائرة الهجاء يدورون وداخل حلقة الذمِّ مُحاصرون؟! دنياهم رائجة وتجارة آخرتهم كاسدة!!

أما أنت.. فالحمد لله الذي عافاك، حملت أشرف هم وأجل غاية، فهَمُّك دعوتك، وشغلك رسالتك، ويحق لك أن تفرح بذلك وتفخر بذلك وتصدح في العالمين بذلك. قال الإمام البنا مخاطبا جمهور الدعاة غارسا فيهم هذا الشعور:

«ومن الحق الذي لا غلو فيه أن تشعروا أنكم تحملون هذا العبء بعد أن تخلى عنه الناس».

وكونكم قلة بين الناس لا يعيبكم بل يزينكم، فهذا شأن كل شريف وصاحب همة شامخة، وكلما غلت السلعة قلَّ من يملك ثمنها كما فطن لذلك المتنبي حين جعلها قاعدة سارية وسنة جارية فقال:

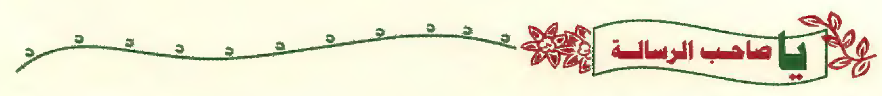
وحيدٌ من الخِلان في كل بلدة ... إذا عظُم المطلوب قلَّ المساعد

وهذا وحده الفخر الممتد والباقي إلى يوم القيامة، حين تتساقط كل ألوان الفخر الزائفة من الفخر بالمال أو الحسب أو الجاه أو النسب، ولا يبقى سوى الفخر الوحيد الصالح للتداول يومها: الفخر بالطاعة واتباع الحبيب، ليحق لك عندها أن تهتف بهتاف ابن الوزير اليمني:

يا حبَّذا يوم القيامة شُهرتي ... بين الخلائق في المقام الأحمد

لمحبتي سنن الرسول وإنني ... فيها عصيت مُعنِّفي ومُفنِّدي

وتركتُ فيها جيرتي وعشيرتي ... ومحل أترابي وموضع مولدي



٢) لحمك ودمك:

كان الحسن البصري يقول:

«يا ابن آدم!! دينك دينك فإنه هو لحمك ودمك، إن يسلم لك دينك يسلم لك لحمك ودمك، وإن تكن الأخرى فنعوذ بالله، فإنها نار لا تطفأ، وجرح لا يبرأ، وعذاب لا ينفد أبدا، ونفس لا تموت»(١).

أخي في الدعوة

ماذا تفعل لو أصابك جرح قاطع أدى إلى نزف مستمر؟! هل تتألم؟! وبعد الألم ماذا يكون إن لم يكن استدعاء الطبيب والهرولة إلى المستشفى قبل أن يؤدي الجرح - ولو كان صغيرًا - إلى موتك!!

فهل جسدك أغلى عليك من دينك؟! هل إذا جُرِح دينك بتضييع حدوده وانتهاك حرماته تُسرِع لإغاثته بالعمل له والبذل في سبيله، وتتردَّد على مشافي الدعوة بدلاً من التردد على مآتم الأحزان في الزوايا والأركان؟!

هل تنصر دينك بحركة تؤيِّده وسعي حثيث يضمِّد جراحه، وإذا فعلت فهل يكون هذا بروح مضطرمة وعزيمة متقدة أم بتثاقل وبرود!!

نفس ما نطق به **الحسن البصري** في القرن الثاني الهجري نطق به **المودودي** في القرن الرابع عشر الهجري، فكلاهما خرج من مشكاة واحدة لأن نسب الإيمان واحد، فقال في تذكرته القيِّمة:

---

(١) حلية الأولياء ٢/١٤٥.

«إنه من الواجب أن تكون في قلوبكم نار مُتَّقدة تكون في ضرامها على الأقل!!! مثل النار التي تتقد في قلب أحدكم عندما يجد ابنا له مريضا ولا تدعه حتى تجره إلى الطبيب، أو عندما لا يجد في بيته شيئا يسد به رمق حياة أولاده فتقلقه وتضطره إلى بذل الجهد والسعي.

وعليكم بالسعي أن لا تنفقوا لمصالحكم وشؤونكم الشخصية إلا أقل ما يمكن من أوقاتكم وجهودكم، فتكون معظمها منصرفة لما اتخذتم لأنفسكم من الغاية في الحياة.

وهذه العاطفة ما لم تكن راسخة في أذهانكم ملتحمة مع أرواحكم ودمائكم آخذة عليكم ألبابكم وأفكاركم، فإنكم لا تقدرون أن تحرِّكوا ساكنا بمجرد أقوالكم»[1].

وهذا لأن الدعوة شأن العلم، لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كُلَّك، وبغير هذا لا يكون نتاج أو حصاد ثمار.

٣) شدة الهجمة:

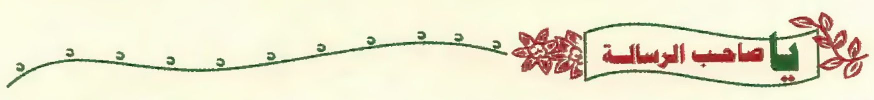
يقول الإمام حسن البنا:

«قد ينشأ الشاب في أمة وادعة هادئة، قوي سلطانها واستبحر عمرانها، فينصرف إلى نفسه اكثر مما ينصرف إلى أمته، ويلهو ويعبث وهو هادئ النفس مرتاح الضمير.

وقد ينشأ في أمة جاهدة عاملة قد استولى عليها غيرها، واستبد بشؤونها خصمها، فهي تجاهد ما استطاعت في سبيل استرداد الحق

(١) تذكرة دعاة الإسلام ص ٢٤ بتصرف.





المسلوب، والتراث المغصوب، والحرية الضائعة، والأمجاد الرفيعة، والمثـل العاليـة.

وحينئذ يكون من أوجب الواجبات على هذا الشباب أن ينصرف إلى أمته أكثر مما ينصرف إلى نفسه، وهو إذ يفعل ذلك يفوز بالخير العاجل في ميدان النصر، و الخير الآجل من مثوبة الله».

يا غافـلاً ليس بمغفـول عنـه...
يا غافـلاً عن كيد أعداء لا يغفلون عنه لحظـة...

أمتنـا اليـوم تواجـه عـدوًا شرسـًا.. كشَّر عن أنيابه.. وأظهر ما كان مستورًا في فؤاده.. سخَّر طاقاته وثرواته لبلوغ مراده، وتحالف مع أمثاله لتعجيل أهدافه، أيواجه هذا كلـه بهمـم خائـرة وعزائـم مريضـة وتسويـف فعـال وسـط كومـة أقـوال؟!

ومن هنا حمل صاحب الرسالة همَّ الدعوة التي تتصدى لهؤلاء الأوغاد، لأنه يرى أن السكون إذا هجم العدو خيانة، ولأن المعركة محتدمة ونبض كثير ممن حوله صفر!!

هذه المعركة التي خلَّفت آهات الثكالى، وأنات المعذبين، وأشواق المغيبين في سجون اليهود والظالمين، ورحم الله شاعر الدعوة الإسلامية المعاصر عمـر بهـاء الديـن الأمـيري، وهو في جناح طب القلب، موصول الصدر إلى جهاز المراقبة الإلكتروني بأسلاك تكبِّل حركته

الدؤوبة، وقد جاء الطبيب يسأل طاقم التمريض عن راحة مريضهم، فيرد عليه باستغراب وقد استشعر التبعة الثقيلة والمهمة المقدَّسة، فانطلق يصف حاله وحال كل من صحَّ قلبه بالإيمان، وقوي جسده الضعيف بالهمِّ الشريف:

كـلا رويـدك يا طبيـــب وقد سألـتَ: أما اســـتراحْ؟
هل يستريـح الحُـرُّ يوقـــد صـدرَه العـــبءُ الـــرزاحْ؟

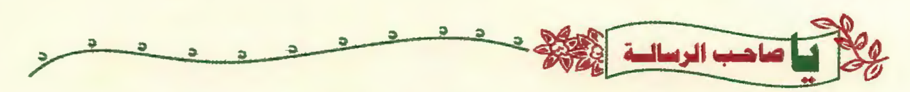
إخوتـــــاه.. ما أحوجنـا اليـوم إلى النائحـة الثكـلى وأغنانـا عـن أختهـا المستأجـرة!

أنت.. نعم أنت!!

لكن يجب أن نعترف أن من محاسن هذه الهجمة الشرِسة أنها جعلتنا نفطن إلى سر الانتصار ومعادلة الظفر ومفتاح القفل المحكم المؤدي إلى كشف الغمة.. إنه أنت!! نعم أنت.

يقول الإمام حسـن البنـــا:

«إن تاريخ الأمم جميعا إنما هو تاريخ ما ظهر بها من الرجال النابغين الأقوياء النفوس والإرادات. وإن قوة الأمم أو ضعفها إنما يقاس بخصوبتها في إنتاج الرجال الذين تتوفر فيهم شرائط الرجولة الصحيحة. وإني أعتقد - والتاريخ يؤيدني - أن الرجل الواحد في وسعه أن يبني أمة إن صحَّت رجولته».





فلماذا لا تكون أنت هذا الرجل؟!

أنت الأمل المرتقب.. أنت المعجزة الربانية.. فكيف لا تسعى لنيل هذا الشرف.. وحيازة قصب السبق؟!

إذا قالوا: الأُلى، خِلْنا بأنَّا القصدُ والهدف

يسير الناس إن سرنا، وإن قلنا: قِفوا وقفوا

٤) الكفايـــة الغائبـــة:

ومما يدفع لحمل هم الدعوة أن أصحاب الرسالة يعلمون أن الدعوة من الفروض الكفائية، وأن هذه الكفاية لم تتحقق إلى اليوم، لذا انقلبت إلى فرض عين، فبذلوا غاية المجهود لتحقيق هذه الفريضة، وإلا استوجبوا العقاب كما حدث مع ثمود قوم صالح!! قال الحسن: «قتَل النَّاقة رجلٌ واحد، ولكنَّ الله عمَّ القوم بالعذاب، لأنهم عمُّوه بالرِّضا»[1].

علموا قلة العاملين وكثرة المتهاونين وتصاعد الكيد وتمادي الكفر وأذناب الكافرين، ورأوا بأعينهم سرعة الهدم وسهولته مع بطء البناء ومشقته، وهروب كثير من بني قومهم عن الجنة وسعيهم حثيثا نحو النار، وسقوطهم في الحفرة التي صنعها لهم أعداؤهم والكمين

(١) البيان والتبيين ١/٨٠ - دار صعب ببيروت.

المنصوب لهم، ونظروا في حالهم فرأوا الكثير من الجهود لم تُبذل بعد، وأن مخزون النشاط لديهم لم يستنفذوه، فحملوا الهم الثقيل الذي تحوَّل إلى عمل نبيل، وضاعفوا الأوقات التي بذلوها، والأموال التي قدَّموها، بعد أن آمنوا أن من لم يحمل همَّ الدعوة ومسؤولية الدين فهو آثم في فقه أرباب الهمم العالية.

٥) تلبيـــة النـــداء:

والاستجابة لأمر الله الذي خاطب أحب الخلق إليه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾، وصاحب الرسالة يعلم أن هذا الخطاب يشمله ويشرِّفه. جاء في التفسير:

- «شمِّر عن ساعد العزم وأنذر الناس»[1].
- «قم قيام عزم وتصميم»[2].
- «قم فاشتغل بالإنذار وإن آذاك الفُجّار»[3].
- «إنها دعوة السماء، وصوت الكبير المتعال.. قم.. قم للأمر العظيم الذي ينتظرك، والعبء الثقيل المهيأ لك. قم للجهد والنصب والكد والتعب. قم فقد مضى وقت النوم والراحة.. قم فتهيأ لهذا الأمر واستعد..

(١) تفسير ابن كثير ٤/٤٤٠.
(٢) الكشاف ٤/١٥٦.
(٣) تفسير النسفي ٤/٣٠٧.



وإنها لكلمة عظيمة رهيبة تنتزعه ﷺ من دفء الفراش، في البيت الهادئ والحضن الدافئ. لتدفع به في الخضم، بين الزعازع والأنواء، وبين الشد والجذب في ضمائر الناس وفي واقع الحياة سواء.

إن الذي يعيش لنفسه قد يعيش مستريحا، ولكنه يعيش صغيرا ويموت صغيرا، فأما الكبير الذي يحمل هذا العبء الكبير.. فماله والنوم؟ وماله والراحة؟ وماله والفراش الدافئ، والعيش الهادئ؟ والمتاع المريح؟!»[1].

وكان هذا النداء الذي تتردَّد أصداؤه بيننا إلى اليوم إيذانا بشحذ العزائم، وتوديعا لأوقات النوم والراحة، والتلفف بأثواب الهجوع، وكان إشعارا بالجد الذي يصنع الحدث ويرميه في حجر أعدائه ليتفاعلوا معه، لا أن ينتظر كيد العدو ليتفاعل هو معه.

صاحب الرسالة

يستبق الأحداث لا ينتظرها، ويسابق الزمن خوف الفوت، متوثبا إلى غايته النبيلة وهدفه السامي، وصوته الهادر يبايع نبيه موقِّعا معه عقد البذل والاستشهاد صائحًا:

نبيَّ الهدى قد جفونا الكرى وعِفنا الشهيَّ من المطعم

نهضنا إلى الله نجلو السُّرى بروعة قرآنه المُحكَم

---

(١) تفسير الظلال ٦/٣٧٤٤.





افهـم ما يُـراد منــك:

أنت صاحب دعوة ينتظرها المسلمون في جميع الأرض، المحاصرون في غزة، والمعذبون في كشمير، والمنسيون على أرض الصين، والمقهورون في العراق، بل وكل من طالت محنته وأنهكته المظالم.

أنت اليوم في مواجهة حاسمة مع عدو متبجِّح يصل الليل بالنهار في سبيل اقتلاع دينك، أو على الأقل تركه في قلوب الناس صنمًا لا روح فيه، فماذا أنت صانع؟!

أنت قائد التغيير البشري اللازم لوقوع التغيير الإلهي المرتقب، فكيف نطلبك فلا نجدك؟!

إن الدعوة كما وصفها بعض الفضلاء منهج تغيير كامل وثورة شاملة، إنها إبطال الباطل وإحقاق الحق، إنها أمانة عظمى ورسالة كبرى، إن مهمة الداعية أن يقيم مكان كل باطل يمحوه حقا، ومكان كل ضلال هديا، ومكان كل شر يبيده بدعوته خيراً يزرعه بعمله، ومكان كل ظلم عدلاً ينشره، ومكان كل رذيلة يمزقها فضيلة يؤسسها، ومكان كل تسلط بالبغي والكبرياء الآثمة تراحما ومساواة.



يا ابن الدعوة..

يا صاحب الرسالة..

يا وريث أولي العزم من الرسل..

إنها الأمانة الثقيلة التي ناءت بحملها السماوات والأرض والجبال وحملتها أنت، فعلمت بذلك أنك لابد أن تكون أقوى من السماوات والأرض والجبال!! فأنى لهذه الأمانة أن يحملها ضعيف متخاذل، أو كسول متراخ، بل لا يصلح لها إلا الجِد والقوة، وهي لغة القرآن بها خاطبك وعليها عوّدك.. ألم تسمعها عالية تدوّي: ﴿ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢].

أما وقد سمعت...

فانزع عنك على الفور ما نسجته غفلتك من دثار وشعار...

واقتل كل مبرِّرات التخلف والاعتذار...

اعرف قدر نفسك .. وموضع قدمك:

← أنت مقتفي الأثر الرائع.. أثر محمد وصحبه..

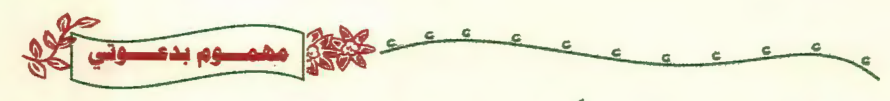
← أنت لابس لامته في معركته مع الباطل..

← أنت خليفته في دعوته..

← أنت راقي منبره لتعظ الأمة من خلفه..

← أنت وارث تركته..







يا مـن تسلَّم الرايـة منـه قبـل أن تسقــط..

هل سقطت منك الراية؟!

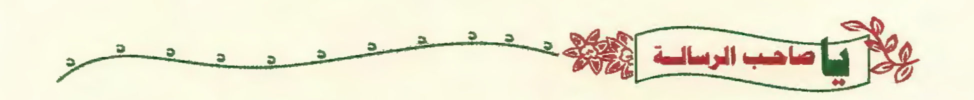
يا مـن حمل شعلة الهداية من يده لتنير بها الوجود..

هل انطفأت بين يديك الشعلة؟!

٦) بديـــل الجهـــاد:

يا صاحب الرسالة... مثلي ومثلك كان الأولى بهم أن يكونوا في ساحة الجهاد ويرتدوا بزَّة القتال الذي صار فرض عين على كل فرد منا بعد اغتصاب الأرض وتدنيس المقدَّسات، فإذا ما حيل بيننا وبين الجهاد، فكيف نبرهن على صدق نياتنا واشتياق قلوبنا للقاء عدونا وتحرير مسرى نبينا؟! كيف؟!

والله ما من وسيلة ولا طريق لإسقاط وزر القعود عن الجهاد وإثم التخاذل عن نصرة إخواننا المستضعفـين غير حمل هم الدعوة والاحتراق عملا لديننا، فلا يصلح في هذا المضمار سـوى أعمال الأبرار، وما سوى ذلك ليس سـوى أوهام، فـإن لم نبذل لديننا حـال رخائنـا، ولم تحدِّثنا نفوسنـا بالغـزو معظـم أوقاتنـا، فأخشى أن نمـوت على شعبة من النفـاق دون أن نشعـر.



أخي صاحب الرسالة..

أنت مجاهد، والجهاد هو بذل غاية الجهد، فهل بلغت غايتك وأصبت ذروتك في سبيل دعوتك؟!

يا ابـن الدعــــوة..

يا من يجري في عروقه دم الشهامة والركض في ميدان العلم والعمـل..

أيهـا المجاهد البطـل..

أرأيت مجاهدًا نائمًا في ساحة قتال والـرؤوس حولـه تتطايـر؟!
أسمعت عن بطل صال وجال دون نضال وملحمـة؟!

قد فهمها المجنون من قبلك!! مجنون ليلى الذي عرف بداهة أنه يستحيل أن يحب دون أن يتأثر بمصاب من أحب، فيمرض لمرضه ويأسى لأساه، واسمع له يقول:

أقول لظبي مرَّ بي في مفـــازة — لأنت أخو ليلى، فقال: يُقـــال
أيا شبـه ليلى إنَّ ليلى مريضـةٌ — وأنـت صحيـحٌ إنَّ ذا لَمُحـــال

٧) هجمـة قبل هجمـة:

إن لم تهاجم شيطانك هاجمك، وإن لم تُتعبه أتعبك، وإن لم تحمله على الركوض خلفك أركضك ذليلاً لاهثًا وراءه...

وحين تتخدَّر غيرتك على دعوتك وتتبلد مشاعرك تجاه مصاب أمتك فاعلم أن الشيطان قد غزاك...

فبدلاً من أن تدعو غيرك إلى الخير يدعوك شيطانك إلى الشر، فتسقط صلاة الفجر من أولوياتك، وتضيع الأذكار المأثورة من أورادك، ويضيع معها ذكر الله وحفظه لك...

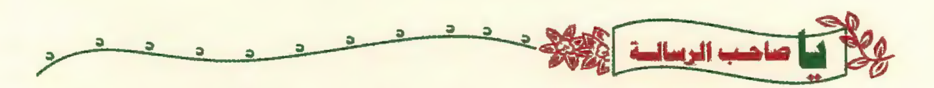
ويستمر الانهيار، لتسقط فريسة لأفلامٍ تعرض من العري والإثارة ما يسلب الإيمان...

ويتفاقم الأمر وتتدهور الحالة فتتنزل بك حالة اللا مبالاة، فلا شعور بالذنب أو تدارك للأمر.

وتفسير هذا أن الدعوة إلى الله من أعظم النعم، ومن لم يعرف شرفها ومكانتها سُلِبها وشُرِّف بها غيره، ورحمة الله على **السري السقطي** حين أرساها قاعدة:

«من لم يعرف قدر النِّعم سُلِبَها من حيث لا يعلم»[1].

(١) حلية الأولياء ١٠/١٢٤ - ط دار الكتب العلمية.



شركاءَ الأجر وصانعي الفجر

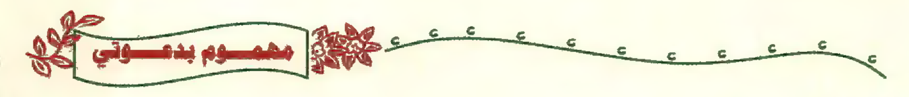
إن ظاهرة التفلت من حمل الرسالة بعد حملها فترة من الزمن يمكن إرجاعها في أحيان كثيرة إلى تغير هموم المرء بمرور الزمن، فالإنسان لا يبقى على حال واحد، والقلب كاسمه متقلِّب، وقد يلتحق رجل بركب الدعاة وهو فارغ ليس لديه ما يشغله، فيبذل ويؤدّي كأفضل ما يكون، ثم تتوارد عليه الأعباء والمهام، ويكثر عياله، أو يثرى ماله، أو تنمو طموحاته، وتغزو الدنيويات قلبه، فيتغيَّر، ويُعاد تشكيل ميوله بأيد شيطانية في ظل غياب رقابة تربوية، وتُصدم حين تلتقيه بعدها بسنوات لتجدك أمام شخص آخر غير الذي عرفت، ولو حافظ صاحبنا على همِّ الدعوة مُتقدا في فؤاده، ولو ظل الخوف من السقوط وسوء الخاتمة يقودان خطواته لوقى نفسه المهالك، ولكنه ضحى بالرسالة وآثر عليها غيرها بقصد أو غير قصد، فهوى لما آثر الهوى.

صــــراع الهمـــــوم!!

قــال تعــالى:

﴿ وَطَآئِفَةٌ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

فهــؤلاء المنافقــون... لا همَّ لهم إلا أنفسهم، لا همَّ الدين ولا همَّ النبي أو المسلمين، وكما لا يجتمع سيفان فى غمد، فكذلك لا يجتمع همَّان في قلب، ولما كان أحب الأشياء لدى المنافقين أنفسهم، وأسباب الخوف على النفس لا تخلو منها الحياة، لذا ولَّوا وجوههم شطر أنفسهم.



أما أصحاب الرسالة...

فقبلتهم دينهم، ويعيشون لأمتهم أكثر مما يعيشون لأنفسهم، ويبذلون في سبيلها كل ما يستطيعون من جهد ووقت ومال، فبسببهم يتنزَّل الغيث على الجميع ويعُمُّ الخير.

وعلى الضد من هذا...

حين يغيب همُّ الدعوة عن قلوب أصحاب الرسالات ينشغلون بأنفسهم، وتكثر أعمالهم وتقِلُّ ثمارهم، وتتعالى الأصوات ولا يقع البلاغ، وتؤدَّى الأنشطة بغير روح فلا تصل إلى الروح.

❋ فائدة دنيوية:

وقد وجد الأطباء النفسيون أن الناس قسمان: قسم يفكِّر في نفسه، وآخر يفكِّر في غيره، ووجدوا بالبحث أن أكثر المصابين في أعصابهم اليوم هم من الصنف الأول؛ لأن تحويل الضغوط النفسية الداخلية إلى عمل خيري نافع ثبت أنه من أكثر الأعمال إفادة وتأثيرا في الصحة النفسية؛ ولذلك ترى العاملين في الخدمات العامة والعمل الخيري أقلَّ الناس تعرضا للاضطرابات العصبية.

❋ وفائدة أخرى رائعة:

في حمل الهموم السامية صرف لسائر الهموم الدنية عن القلب، وهو من مكافأة الله لعبده على تقديمه أمر ربه على غيره، مع ما في حمل هم الرسالة من جهد لذيذ وأجر وفير وسمو مكانة عند الله وعند الخلق.

والعكس بالعكس: هذا الذي رغب عن حمل همِّ الدين.. هل رأيته يومًا سالمًا من الهموم؟! كلا والله، فقد قضت سنة الله أنَّ من رغب عن خدمته ابتلاه بخدمة الخلق حتمًا مقضيا، والعاقل - فضلاً عن المؤمن - من يختار أعلى الهمتين وأشرف الخدمتين.

ومِسْك الختام...

حكمة بالغة: إن الاهتمام بالنفس هو في حقيقته طفولة متأخِّرة، فمن أهم ملامح مرحلة الطفولة: لأنانية وحب الذات والطواف على اللذات، فمن كبر سنه ولم يزل غير مهتم إلا بنفسه كان ذلك من علامات طفولته وصغر نفسه وإن شاب شعره...

أما من اهتم بغيره فقد شبَّ عن الطوق ونضج وبلغ مبلغ الرجال وان لم يبلغ الحُلُم بعد.

الفصل الثاني

لكل شيء علامة







١) الاعتـــذار للأعـــذار:

قال الله عز وجل في سورة النور أنار الله قلبك:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٦٢].

جاء في التفسير أنها نزلت في غزوة الخندق، حين تألب الأحزاب على المسلمين، فأقرَّ النبي ﷺ فكرة سلمان الإبداعية في حفر الخندق، وبدأ التحدي حين قطع النبي ﷺ لكل عشرة من الصحابة حفر أربعين ذراعا، ليستمر العمل شهرا كاملا، وكان العمل شاقا في شدة جوع، وقلة زاد، ورعب زلزل الأفئدة، وتسابق مع الزمن قبل أن يصل الأحزاب المدينة وإلا فشلت الخطة من الأساس، وفي خضم هذه المشغلة النفسانية العنيفة كان البعض يتسلل إلى بيته بغير إذن النبي ﷺ تاركينه وأصحابه يحفرون!! فنزلت هذه الآية، وأمرهم الله أن يستأذنوا، ليكون الاستئذان علامة فارقة بين المؤمنين الصادقين والمنافقــين المتخاذلــين.

والعجيب في الآية أن النبي ﷺ أُمِر بالاستغفار لمن استأذن مع كونه صاحب عذر!! فكيف بمن تخلف دون استئذان ولعله بغير عذر؟!

إنها تربية الصف المؤمن على أن يراجع كل منا نفسه، فكل تخلف عن فرصة خير هو في حقيقته حرمان من شرف خدمة الدين، ولعله كان عقوبة على ذنب سلف أو تقصير فرط، أو لعله بعذر غير قاهر كان يمكن التغلب عليه، وكل هذا يوجب الاستغفار. قال **الألوسي** وغيره:

«فإن الاستئذان وإن كان لعذر قوي لا يخلو عن شائبة تقديم أمر الدنيا على أمر الآخرة»[1].

ولوضوح المعنى فقد رأى الإمام **الرازي** نفس الأنوار الساطعة حين قال:

«أن يستغفر لهم تنبيها على أن الأوْلى أن لا يقع الاستئذان منهم وإن أذِن، لأن الاستغفار يدلُّ على الذنب»[2].

وفارق شاسع يا إخوتاه بين:

من تخلَّف عن فرصة خير فتألم وتفطَّر قلبه وزاره الأرق بالليل فخرَّ مستغفرًا، وآخر تخلَّف دون أن يشعر بشيء أو قائمة أعذاره سابقة التجهيز...

الأول ينال أجره كاملاً غير منقوص، والثاني لا شيء له بل عليه!!

---

(١) روح المعاني للألوسي ١٨/٢٢٤- ط دار إحياء التراث العربي.

(٢) مفاتيح الغيب ١١/٣٧٨.

الأول فرد في طائفة: «إن بالمدينة أقوامًا ما سِرتُم مسيرًا، ولا أنفقتم من نفقة، ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم فيه وهم بالمدينة، حبسهم العذر»[1].

أما الثاني فعضو في فريق: ﴿ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾ [التوبة: ٤٦].

وإن كانت هذه الآية خاصة بالنبي ﷺ إلا أن ذلك يصلح أن ينسحب على غيره ممن تولى مسئولية أو إمارة دعوية لا نهضة للإسلام اليوم إلا بها، ولهذا قال الحسن: «وغير الرسول ﷺ من الأئمة مثله في ذلك لما فيه من أدب الدين وأدب النفس»[2].

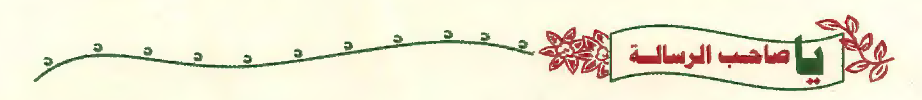
ومن هنا ذهب الطاهر بن عاشور إلى استنباط هذه القاعدة الإدارية الهامة، فقال في ألفاظ سالت حروفها من العسل:

«وهذه الآية أصل من نظام الجماعات في مصالح الأمة، لأن من السنة أن يكون لكل اجتماع إمام ورئيس يدير أمر ذلك الاجتماع، ومن السُنَّة أن لا يجتمع جماعة إلا أمَّروا عليهم أميرًا، فالذي يترأس الجمع هو قائم مقام ولي أمر المسلمين، فهو في مقام النبي فلا ينصرف أحد عن اجتماعه إلا بعد أن يستأذنه، لأنه لو جعل أمر الانسلال لشهوة الحاضر لكان ذريعة لانفضاض الاجتماعات دون حصول الفائدة التي جُمعت لأجلها».

---

(١) مفاتيح الغيب ٣٧٨/١١.

(٢) صحيح: رواه البخاري وأحمد وأبو داود وابن ماجة عن أنس كما في صحيح الجامع رقم: ٢٠٣٦.



بئسـت التركـة!!

إن كثرة الاعتذارات هي ميراث أهل النفاق، وفي نظر صاحب الرسالة هي نذير خطر داهم يقترب، أو هي بمثابة قمة جبل الجليد الذي يظهر مقدار عُشره على سطح الماء بينما يختفي تسعة أعشاره في القاع، وكذلك كثير الأعذار لا يظهر من عيوبه إلا العُشر، وتسعة أعشار مساويه متوارٍ، ويظل الشيطان يقتات على البقية الصالحة من قلبه، لتظل عيوبه تتوالد مع تتابع تخلفاته، وسيئاته تتكاثر بتوالي اعتذاراته حتى يصل إلى النهاية الحتمية المؤسفة: تفتر همته الدعوية وتبرد عزيمته الإيمانية، فيقعد عن السير مع القافلة المباركة، فإذا أفتاك الشيطان يا أخي بالتخلف يوما مقدِّما سلة الأعذار الجاهزة، فاطرده قائلا: التمس رزقك في غير هنا، فقد كشفنا حيلتك وفضحنا خطتك يا ملعون!!

قلبـك ليـس غـير!!

قال ابن إسحاق في معرض حديثه عن غزوة العسرة إلى تبوك:

«ثم مضى رسول الله ﷺ سائرًا، فجعل يتخلف عنه الرجل، فيقولون: يا رسول الله.. تخلف فلان، فيقول: «دعوه، فإن يكُ فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه»[1].

(١) البداية والنهاية ٥/٨ - ط مكتبة المعارف.

وهذا يشير إلى أن منسوب الخيرية في قلب العبد هو الذي يدفعه لشهود مشاهد الخير والتصدي لمواطن البذل والقيام بأعباء الرسالة، فإذا زاد الخير وغمر كان الحضور النشط والمشاركة الفعالة، وإذا قلَّ كان التأخر، حتى إذا ما نضب كان التخلف ولا أقبح؛ هكذا رأى الأمر رسولنا ﷺ وهكذا يريدنا أن نتعامل معه، ولا تزال كلماته تقرع صاحب كل قلب حي لتُرهبه من عاقبة التقصير ومقدِّمات الفتور.

إن منسوب الإيمان في القلب متأرجح، فالطاعات تودع رصيد الإيمان في القلب، والمعاصي تسحب من هذا الرصيد؛ الطاعات تبني والمعاصي تهدم، ولا يزال القلب بين شد وجذب ومد وجزر ما بقي فيه نفَس، والفطن هو الذي يحاسب نفسه، ويداوِم على القياس، فينتبه، فيستدرك.

٢) الربــــاط:

أصغِ إلى هذا الموقف في مغازي الواقدي:

في رجوع الصحابة من غزوة ذات الرقاع قال النبي ﷺ: من رجلٌ يكلؤنا الليلة؟ فقام عمار بن ياسر وعبَّاد بن بِشر، فقالا: نحنُ يا رسول الله نكلؤك، وجعلت الريح لا تسكن، وجلس الرجلان على فم

الشعب، فقال أحدهما لصاحبه: أيُّ الليل أحب إليك أن أكفيك أوله فتكفيني آخره؟ قال: اكفني أوله، فنام **عمار بن ياسر** وقام **عبَّاد بن بشر** يصلي، وأقبل عدو الله، ففوَّق له سهمًا فوضعه فيه فانتزعه، ثم رماه بآخر فوضعه فيه فانتزعه، ثم رماه الثالث فوضعه فيه، فلما غلب عليه الدم ركع وسجد، ثم قال لصاحبه: اجلس فقد أتيت، فجلس **عمار**، فلما رأى الأعرابي أن **عمارًا** قد قام علم أنهم قد نذروا به، فقال **عمار**: أي أخي.. ما منعك أن توقظني به في أول سهم رمى به؟ قال: كنت في سورة أقرؤها وهي سورة الكهف، فكرِهت أن أقطعها حتى أفرغ منها، ولولا أني خشيت أن أُضيِّع ثغرًا أمرني به رسول الله ﷺ ما انصرفت ولو أُتِي على نفسي!!

وكلنا اليوم وقوف على نفس الثغر الذي وقف عليه **عبَّاد**، ونشهد نفس الموقف بحذافيره، في ظل هجمة شرسة على رسول الله وحرب سافرة على الإسلام وحملة عدوان ممنهجة تستهدف زلزلة ثوابت الأمة وتمييع عقيدتها ونهب ثرواتها، وكأنَّ صوت رسول الله يهتف بيننا اليوم مستصرِخا: من رجلٌ يكلؤنا اليوم؟!

فهل شعرنا ونحن في حقل الدعوة بما شعر به هذا الصحابي الجليل، وهل استحضرنا نية المرابطة على الثغور ولو كان العمل الموكل إلينا بسيطًا، وهل صاحبتنا هذه الروح حتى في الأعمال التي يَسُدُّ فيها الثغر سوانا، وفي كل مساراتنا الدعوية وتحركاتنا اليومية في سبيل نصرة الدين؟!

صاحب الرسالة

انهض بعزم لا تنم.. وإذا أردت لهمتك أن تعلو ولعجزك أن يخبو ولأعذارك أن تتوارى ولقلبك أن يصحو، فاستنشق عبير الرباط المبارك وكأنك وحدك الذي أنيط به التكليف وتلقى الأمر، وكأنك وحدك الذي يملك الجرعة الشافية لمريض أشرف على الهلاك، وأشرِب قلبك - وأنت تتحرَّك في دعوتك - أنك إن لم تقم بأي واجب من واجباتك الدعوية أصيب الدين في مقتل، وأنت السبب!!

أخي في الرسالة.. أختي في الدعوة..

ألا ما أكثر ثغور اليوم وأقلَّ الحراس.. وإن شئت قلت: ما أكثر الثغور اليوم وأضيع الحُرَّاس، وإذا علمنا أنه لا انتباه للص إلا في غفلة حارس، فهمنا لم كثر اللصوص من حولنا؟!

أحبتــــاه..

المرأة في بيتها وبين جاراتها على ثغر..
الأب فى أهله على ثغر والأم معه..
العالم في البيئة الجاهلة على ثغر..
الذاكر بين الغافلين..

وكلكم اليوم على ثغر، بل وأكثر من ثغر: ثغر في البيت.. ثغر في العمل.. ثغر في القرابة.. ثغر في الجيرة.. بكلمات أُخَر: الصالح في أي بقعة فساد أو غفلة هو اليوم في رباط، فيا لعار من هوجِم الدين من ثغره الذي حرسه، ويا فضيحة من غزانا العدو من ناحيته!!

عوتب الإمام أبو الأعلى المودودي في كثرة اجتهاده، وطالبه تلامذته يوما أن يستريح جالسا، فقال:

«إذا جلستُ أنا، فمن عساه يبقى واقفا!!».

الوقوف وحيداً!!

يدفعك إلى ذلك ويحثك عليه وقوفك غدا للحساب عاريا إلا من عملك، لا يدفع عنك ملائكة العذاب سوى بذلك، ولا يتكلم عنك إلا صحيفة عملك، ولا يحجب وجهك عن حرارة جهنم مثل حرارة السعي على مصالح الدعوة، وعندها تشهد الجوارح لتُعرّي كل من ارتدى ثوب السلبية القبيح يوم تتوالى الاعترافات وتتقدَّم الشهادات.

وكأن الحسن البصري لمح نفرا من الدعاة ازدحم الناس حولهم واحتفوا بهم، فانطلق يعظهم موعظة من ارتدى ثيابهم واحترف حرفتهم، فخبر عيوبهم وأمراضهم ثم انطلق يدعوهم:

«رحم الله رجلاً لم يغره كثرة ما يرى من كثرة الناس، ابن آدم إنك تموت وحدك، وتدخل القبر وحدك، وتُبعث وحدك، وتحاسب وحدك.. ابن آدم!! وأنت المعني وإياك يُراد»[1].

وبرميل العسل يشهد!!

وهو ما يذكِّرني بالقصة الرمزية التي تحكي عن قرية فقيرة قرَّر الأمير يوما أن يزورها، فقرَّر أهلها أن يُهدوا للأمير برميلاً من العسل، واتفقوا

(١) شعب الإيمان ١/٩٢.

أن يضع كل واحد منهم قطرة عسل في البرميل ليشتركوا في شرف إكرام الضيف الكبير، وبتوالي القطرات تكتمل المهمة...

وعندما عاد كلٌّ منهم إلى بيته فكَّر أحدهم في أن يجعل مكان قطرة العسل قطرة ماء، وماذا تفعل قطرة الماء في برميل العسل الضخم؟! وماذا عساه يحصل إن اتخذ «وحده» هذه الخطوة؟! وما الضرر إن فكَّر في «نفسه» قليلاً وتحرَّر من بعض الواجب؟! خاصة أن أحدًا لن يراه في ظلمة الليل حين يستبدل هذا بذاك؟! فلا الضرر سيقع ولا السرُّ سينكشف!!

ومرَّ الليل، وأدَّى كل واحد من أهل القرية ما ظنَّ أنه يُجزئ عنه، وعندما طلع الصباح، وفُتِح البرميل، وجد الأمير أمامه برميل ماء، دون أن يعثر على قطرة عسل واحدة!!

الكل فكَّر نفس التفكير، واعتمد على غيره في إنجاز المهمة، والنتيجة: الفضيحـــة!!



إخوتـــي.. أخواتـــي..

إذا فكَّر عمود من أعمدة البناء في أن يميل قليلاً..

تُـرى مـا تكـون النتيجـة؟!

ألا يسقـط البنـاء على الجميـــع!!

ليس الأمر هنا أمر جنود وقادة ولا ساقة وسادة، بل الكل اليوم على هرم المسئولية، وأي مستريح عن واجبه الدعوي اليوم يلقي في روع

إخوانه - من حيث لا يشعر - أن الراحة سائغة والسكون مقبول والغفلة طبيعية، فيغري غيره بالتخلف ويبث الوهن في القلوب لينال بذلك ما لا يتوقع من الذنوب!!

٣) ذاتية الانطلاق والاستمرار:

صاحب الرسالة لا يحتاج إلى سماع صرخة استغاثة ضحية تحتضر بين يديه لينتفض، ولا يحتاج إلى من يذكِّره بدوره بل هو من يذكِّر غيره، فلما نزل بالأمة يوقظ الأموات ويطرد السبات.

يا صاحب الرسالة

إذا وجدت صفًا معوجًا فقوِّمه... وإن لم تجد صفًا فكن أنت الصف، ولك - إن فعلت - أجر السبق، وثواب الأوائل، وحسنات كل من اصطف خلفك وحذى حذوك!!

أنت الذي تعطي الشرارة لمن حولك لينطلق، وبدونك يتوقف المحرِّك الكبير عن الحركة، ويصبح مجرد كتلةٍ من حديد، وكذلك هي الأمة في غيابك.

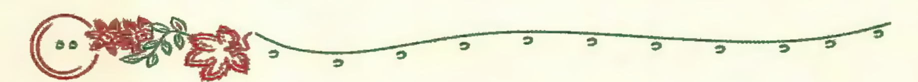
يا صاحب الرسالة.. لا تحتاج مني أن أذكِّرك بأنك لست حامل رسالة بل صاحب رسالة، وفارق شاسع بين الاثنين.

- أنت الذي تخاف على دعوتك وتبذل في سبيلها فوق ما تستطيع.
- أنت الذي تستفرغ كل ذرة جهد لها لا تبخل أو تدَّخر.
- أنت الذي تنام وتستيقظ على هَمٍّ وحيد: أن ينتصر دينك وتسود مبادؤه.
- أنت الذي لا تفارقك دعوتك في حلك وترحالك، وأفراحك وأتراحك، لأن الصاحب في اللغة هو الملازم الذي لا يفارق الشيء ولا يتركه أو يتخلى عنه، فشرط الصحبة: الملازمة وعدم الانفكاك أو التخلي عن الشيء.
- أنت الذي تستشعر أجَلَّ نعم الله عليك: أنك قمت ونام غيرك، وبذلت وبخل غيرك، وسهرت ونام غيرك، وتألمت فعملت وتبلدت مشاعرهم فاستراحوا.

أخي صاحب الرسالة

لست موظفا حكوميًا يؤدي عمله في أوقات العمل الرسمية ثم ينصرف، حاشاك.. بل أنت صاحب عمل تؤرِّقه خسارته فلا يهدأ حتى تشرق على دعوته شمس الأرباح، ويحتال لها ويصل الليل بالنهار من أجلها حتي يبلغ غايته ويحرز هدفه، ويظلُّ يُفكِّر ويسهر ويجرِّب ويتعب حتى يربح دينه ويُقبِل الناس على فكرته، ولو رآك **البحتري** لما وجد خيرا منك يقول فيه:

متقلقلَ الأحشاء في طلب العُلا   حتَّى يكونَ على المعالي قيِّما



خير الكلام ما قلَّ ودلَّ:

أنت صاحب هَمٍّ جليل وأمل نبيل لا يقطعه عنك سوى القبر..

يا ذاتي الانطلاق والحماس.. أنت ما كنت يومًا إمعة ولن تكون..

وأنا واثق أنك لن تنجرف مع تيار الغفلة المحيط بك إحاطة السوار بالمعصم، ولن يكون أقصى طموحاتك ومنتهى آمالك أن لا تتأثَّر به بل أن تُزيله من الوجود.

أنت ضوء لا يسُبُّ الظلام بل يُبدِّده.. لذا لا تُلقي باللائمة على غيرك.. فقد تربَّيت على أن الشكوى علامة ضعف واعتراض على الخالق مما لا يليق بصاحب دعوة مثلك!!

يا حامل الأمانة..

لا يتحرَّك بمُحرِّك إلا خامل، وهذا لا يقوم إلا إذا سمع صيحة: قم يا فلان، ولست من هؤلاء، لذا لا تنتظر الخطط لتتحرك، ولا يعوزك التحفيز لتنطلق.

وأخيرًا.. لن يفهم هذه المعاني إلا من يعاني، وصاحب الرسالة ما كان يومًا على الدعوة عالة بل شامة، فأرنا التصدي للبذل؟! وأظهِر الشوق للتعب؟! وارتدِ ثوب العمل.

٤) الإبداع الدعوي:

من علامات أن تكون مهموما بدعوتك أن تُبدِع في سبيلها كما أبدع أهل الباطل في سبيل باطلهم، ونحن أولى بالإبداع منهم، وقل لي بربك:



نرى الإبداع اليوم وكأنه حِكر على الكفرة وخُدّام الدنيا؟
..ونبحث عن المبدعين من أجل الدين فنجدهم نــدرة!!



إن الإبداع الدعوي اليوم صار فريضة لازمة لأن زمن الرتابة انتهى وبدأ زمن السرعة والتجديد، وناشئة القرن الحادي والعشرين تترعرع في ظل شهوات دنيوية تغيِّر ثيابها الزاهيـة كـل يـوم، وتتلـون بألـوان الطيــف، وتتجـدَّد على مـدار الساعـة لتخلـب الأبصـار وتُدخِل الناس النار.. فماذا فعلنا نحن لإنقاذهم؟!

قلِّب الأنظار حولك: إبداع دنيوي يجيده أهل الباطل يتعالى كل يوم ويتطور كل لحظة، مما يجعل تقديم الهداية اليوم في ثوب قديم وأسلوب تقليدي لا يواكب العصر ويراعي المتغيِّرات صادًّا للأجيال الجديدة لنبوء نحن بالإثم ونرجع بوزر الصد عن دعوة الله!!

وتشتمـل مجــالات التفكـير الإبـداعي عـلى:

← إيجاد البديل لكل رذيل وِفْق الضوابط الشرعية.

← ابتكار حلول للمشاكل التي تواجهها الدعوة على طريقة الماء الجاري!! وتأمل ماذا يفعل الماء إذا جرى ووجد أمامه عقبة؟!

ألا يمُرُّ من اليمين أو الشمال، فإن لم يكن هناك يمين أو شمال؟! علا الماء الصخرة رويدا رويدا حتى يغمرها ثم يجتازها ماضيا في طريقه، ومع مرور الوقت يحفر الماء عمق الصخرة ليُحطِّمها في النهاية، فكن ماء جاريا لا تستسلم لعقبة زرعوها أمامك ليُقعدوك.

← فتح أبواب جديدة لم تطرقها الدعوة من قبل:

عن طريق غزوات دعوية جديدة، وانتشارات في ميادين وساحات ظلت أبوابها زمنا مغلقة وأبوابها مؤصدة تنتظر الفاتح يا فاتح!!

← عدم الرضا بالواقع الدعوي والتطلع دومـًا للأفضـل في ظـل تطوير مستمر للعمـل حتى لا يكـاد يُؤدى العمـل نفسـه بذات الطريقـة مرتـين.

وأسألك في ضوء ما قرأت:

الإبداع وليد المعاناة وحمل الهمِّ فماذا أبدعت من مشاريع لدينك وأفكار لدعوتك؟ حصيلة الهمِّ: إبداع، فأين حصيلتك؟!

الفشـل أبـو الإبـــداع

ذكروا عن قصة نجاح إبراهام لنكولن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية أنها استُهِلَّت بفصول من الفشل متتالية:

- فشل في مجال الأعمال وهو في الحادية والعشرين من عمره.

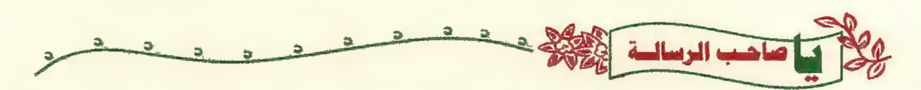


- هزم في انتخابات تشريعية وهو في الثانية والعشرين من عمره.
- بعد تجربته الأولى.. فشل أيضًا في مجال الاعمال وهو الرابعة العشرين.
- تغلب على موت حبيبته وهو في السادسة والعشرين.
- أصيب بانهيار عصبي وهو في السابعة والعشرين.
- خسر في انتخابات الكونجرس وهو في الرابعة والعشرين.
- خسر مرة أخرى في انتخابات الكونجرس وهو في السادسة والثلاثين.
- خسر في انتخابات مجلس الشيوخ وهو في الخامسة والأربعين.
- خسر في انتخابات مجلس الشيوخ مرة أخرى وهو التاسعة والأربعين.

ومع ذلك لم تنل هذه الانتكاسات من عزيمته شيئًا، ولم ينقطع كفاحه حتى بلغ منصب الرئاسة، ومع أنه رجل كافر لا يرجو ثوابًا كالجنة أو يخشى عقابًا كالنار، لكنه مع ذلك ما يئس من تكرار فشله...

وصاحب الرسالة يستحي أن يكون عزمه أوهن وصبره أرق ويخاطب نفسه:

ويحي!! كيف أيأس ولي في كل خطوة اغتراف أجر جزيل ورضا رب جليل ﴿ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ [النساء: ١٠٤].



أخي صاحب الرسالة.. هل لي أن أقول لك:

لا يمكن أن تمر الحياة دون لحظات ألم، لكن الذكي من يستعمل هذا الألم في صقل مهاراته وتربية ذاته، فأخبرني: كم مرة حاولت؟ وبعد كم محاولة يئست؟! وكيف تيأس من فشل أنت مأجور عليه؟! وكيف لا تستغله ليكون جسرك إلى نجاح دعوي عاجل وفوز أخروي آجل؟! أخشى أن تكون نظرتنا إلى المشكلة هي أصل المشكلة، فاحفظ معي وردِّد:

ولا أدرك الحاجات مِثلُ مثابرٍ ولا عاق منها النُّجح مِثل تَوانِ

كلمة الفشل مصطلح لا وجود لها في قاموس صاحب الرسالة، وإن أي تعثر دعوي اليوم إن سُمِّي فشلاً فعلى سبيل المجاز، أما هو في حقيقته فهو ذروة النجاح لأنه سلم نحو النجاح...

وفي كثير من الأحيان يكون السقوط سبيل النهضة، والهزيمة في معركة مفتاح النصر، وما الفشل في بعض معانيه سوى فرصة تتيح لك استئناف العمل من جديد بذكاء أكبر ورؤية أعمق وخبرة أوفر...

فالبس ثوب التجريب والمحاولة، ودع عنك قول: لست لها، واستبدلها بقولك: أنا لها.

وإن حدَّثتك النَّفسُ أنك قادرٌ على ما حَوَت أيدي الرجال فجرِّبِ





ماذا تريدني أن أفعل؟!

✓ اعقد جلسات العصف الذهني(١) مع إخوانك؛ شركائك في الهمِّ وزملائك في حمل الرسالة.

✓ لا تستعجل في الحكم على الأفكار الجديدة ورفضها بل رحِّب بها، ثم ابْنِ عليها لتصبح مع التطوير والتعديل مناسبة.

✓ اجعل بصرك حادا في مشاهداتك اليومية لتلتقط الأفكار الجديدة حولك وتسخِّر مثلها وأفضل منها لدعوتك.

✓ أهم من الفكرة تنفيذها، ويمكنك استخدام محصلة ضرب التكلفة في الفائدة لتعرف أسس التعامل مع الفكرة:

- تكلفة قليلة + فائدة كبيرة = نفِّذ على الفور.
- تكلفة قليلة + فائدة قليلة = نفِّذ على الفور.

---

(١) العصف الذهني أسلوب تعليمي وتدريبي يقوم على حرية التفكير، ويستخدم من أجل توليد أكبر كم من الأفكار التي تعالج موضوعا من الموضوعات، وذلك من خلال جلسة قصيرة، والمبادئ الأساسية لجلسة العصف الذهني:

أولاً.. إرجاء التقييم: فلا يجوز تقييم أي من الأفكار المتولدة في المرحلة الأولى من الجلسة؛ لأن نقد أو تقييم أي فكرة بالنسبة للفرد المشارك سوف يقطع حبل أفكاره، ويصرف انتباهه عن محاولة الوصول إلى فكرة أفضل.

ثانيًا.. إطلاق حرية التفكير: أي التحرر مما قد يعيق التفكير الإبداعي، وذلك للوصول إلى حالة من الاسترخاء وعدم التحفظ بما يزيد انطلاق القدرات الإبداعية على التخيل وتوليد الأفكار في جو لا يشوبه الحرج من النقد والتقييم، ويستند هذا المبدأ إلى أن الأخطاء غير الواقعية الغريبة قد تثير أفكارا أفضل عند الآخرين.

ثالثًا.. الكم يولد الكيف: أي التركيز في جلسة العصف الذهني على توليد أكبر قدر من الأفكار مهما كانت جودتها، وكلما زادت الأفكار كلما زاد احتمال الوصول إلى الحل.

رابعًا.. البناء على أفكار الآخرين: أو تطوير أفكار الآخرين والخروج بأفكار جديدة، فالأفكار المقترحة ليست حكرًا على أصحابها، فهي حق مشاع لأي مشارك لتحويرها وتوليد أفكار أخرى منها.

- تكلفة كبيرة + فائدة قليلة = ارفض الفكرة
- تكلفة كبيرة + فائدة كبيرة = ادرس الفكرة بعمق لقبولها أو رفضها.

✓ وأرى أنه لا مناص من أن ينظِّم الدعاة جائزة دورية؛ شهرية أو ربع سنوية، لأفضل فكرة أضافت للدعوة جديدًا، أو قرَّبت بعيدًا، أو أزاحت عقبة، أو أخرجت ثمرة، وذلك تشجيعًا للعقول المبدعة، وإثارةً لغيرة العقول التقليدية الجامدة، افعلوها - إخوتاه - وسترون العجب!!

وكن على يقين بأن كل مشكلة تحمل بين طياتها بذور حلها، وما عليك سوى البحث عليه والظفر به، فمسألة الوصول قضية وقت وعمل ومثابرة، وقبل ذلك وأثناءه وبعده: الاستعانة بالله وتوفيقه وعونه.

البحث عن الكنز!!



وهبكما الله مواهب دفينة وطاقات هائلة، لكنها اليوم دفينة مغمورة في بئر الإهمال والنسيان، مجهولة تنتظر من يُنقِّب عنها بمعول العزيمة، وعندها تظفران بالجواهر وتعرفان سِر قوتكما ومفتاح تميزكما، فتسخِّرانها لخدمة الدعوة.

وما أكثر حاملي الرسالة الذين لم يكتشفوا المواهب الربانية التي حباهم بها الله، ومن ثم لم يستخدموها الاستخدام الأمثل لنصرة الحق والدفاع عنه؟! وهل يظن أحدٌ أن النعم لا تبعات من ورائها؟! أو أن العطاء لا يؤاخَذ عليه؟! أو يظن الغني أن حسابه عند الله مثل حساب الفقير؟! أو أن حساب الذكي مثل حساب الغبي؟! أو حساب الفصيح كالعيي؟! أو العالم كالجاهل؟! تعالى الله عن ذلك:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

والدَّرجات هنا استعارة لتفاوت الناس في النِّعم، مبنيَّة على تشبيه المعقول بالمحسوس لتقريبه إلى الأفهام، وتشمل الدرجات جميع أنواع التميز والاختلافات بين الناس اليوم في الأرزاق والأخلاق والأفهام والمحاسن والمواهب والمناصب.. وهي سنة إلهية محكمة: ﴿ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾.

فهدف التمايز في المواهب والملكات إذن: الابتلاء، وكل ما رزقكم الله من النعم الظاهرة أو الخفية إنما يبلوكم الله به، فهل تنجحون في الاختبار فتسخِّرون هذه المواهب في طاعة الله وخدمة دينه؟ أم تضيِّعونها هدرا؟

ثم يأتي ختام الآية: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾، ليفرض السؤال: ما العلاقة بين أول الآية وآخرها؟!

والجـواب: إن عقاب الله سريع الإتيان لمن لم يراع حقوقه في ما آتاه من مواهب وملكات فلم يشكره، أما من حباه الله النعم فبذلها في طاعة الله تجاوز الله عن كل ما بدر منه بمغفرته ورحمته، والله أعلم.

وصيـة ماسيـة أخيرة تلمع عندما تسقط عليها أشعة ذكائك الإيماني:

ركِّز على نقاط قوتك أكثر من تركيزك على تقوية نقاط ضعفك.

وهي وصيـة وعصارة تجربة أساتذة إدارة الأعمال المعاصرين حين قال أحدهم:

«إذا قضيت وقتًا كبيرًا جدًا في العمل على تحسين نقاط ضعفك، فإن كل ما ستصل إليه هو مزيد من نقاط الضعف الخطيرة»[1].

أخـي..

قد تقضي الأعوام في معالجة نقاط ضعفك، وقد تنجح في ذلك قليلاً أو كثيرًا، لكنك لو نظرت في ما أنت متميِّز فيه وعملت على تسخيره لدينك لكان ذلك أيسر عليك وأربح لدعوتك.

(١) قوة التركيز ٤٤/١ والقول لدان ساليفان أستاذ إدارة الأعمال - تأليف جاك كانفيلد ومارك فيكتور هانسن ولس هيوت - مكتبة جرير.





٥) المظهر أخو الجوهر:

يا صاحب الرسالة

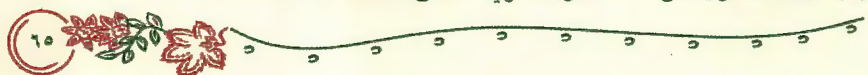
اغسل نفسك اليوم في نهر الدعوة حتى لا تبقى خلية من جسدك إلا وقد تشبَّعت بالدعوة وهَمِّ الدعوة، فينضح ذلك على كل ما يراه الناس فيك، ويسمعونه منك، ويعلمونك عنك، فتدرك بذلك شرف الجهاد وإن لم تجاهد، وتنال ثواب المجاهدين من غير نزال أو قتال. يقول الإمام البنا رحمه الله:

«أستطيع أن أتصوَّر المجاهد شخصًا قد أعدَّ عُدَّته، وأخذ أهبته، وملك عليه الفكر فيما هو فيه نواصي نفسه وجوانب فكره، فهو دائم التفكير عظيم الاهتمام، على قدم الاستعداد أبدًا، إن دُعي أجاب، أو نودي لبى، غُدُوُّه ورواحه وحديثه وكلامه وجده ولعبه لا يتعدى الميدان الذي أعد نفسه له، ولا يتناول سوى المهمة التي وقف عليها حياته وإرادته، يجاهد في سبيلها، تقرأ في قسمات وجهه، وترى في بريق عينيه، وتسمع من فلتات لسانه ما يدلك على ما اضطرم في قلبه من جوى لاصق وألم دفين، وما تفيض به نفسه من عزمة صادقة وهمة عالية وغاية بعيدة».

يشير رحمه الله بذلك إلى ما تعارف عليه علماء القلوب وأجمعوا عليه من أنَّ «لسانك ترجُمان قلبك؛ ووجهك مرآةُ قلبك؛ يتبيَّن على الوجه ما تُضْمِر القلوب»[1]، وأنَّ «القلوب أوعية، فإذا

---

(١) طبقات الصوفية ص ٣٢، والقول للسري السقطي.



امتلأت من الحق أظهرت زيادة أنوارها على الجوارح، وإذا امتلأت من الباطل أظهرت زيادة ظلمها على الجوارح»[1]، فيدرك بذلك كل صاحب رسالة حقيقة نسبه وصدق انتمائه لدعوته.

الخَلق مع الخُلُق

ومن هذا أن صاحب الرسالة صاحب سمت مميز، وبصمة لا تُزيَّف، وشكل يُخبِر عن باطن، ومظهر يُفشي سرَّ جوهر.

يعلم أن المشاركة في الشكل لا بد أن تورث موافقة في الأعمال حتما مقضيا وقدرا مقدورا، لذا اشتد تمسكه بتميُّزه في كل شيء، وشخصيته المستقلة التي يُشار إليها بالبنان، ليس إمَّعة يقلِّد أعداءه، ولا ينبهر بمظاهر الغافلين من أبناء قومه.

قال رسول الله ﷺ:

«إن الهدي الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءًا من النبوة»[2].

ويفيض محتوى القلب على القالب كما أشار إلى ذلك النبي ﷺ، فقال في شأن المؤمن يميِّزه عن المنافق:

«خصلتان لا يجتمعان في منافق: حسن سمت وفقه في الدين»[3].

(١) ذم الهوى ص ٦٦، والقول لأحمد بن خضرويه.
(٢) حسن: رواه أحمد وأبوداود عن ابن عباس كما في صحيح الجامع رقم: ١٩٩٣.
(٣) صحيح: رواه الترمذي عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٣٢٢٩.

والسمت يكون على معنيين: حسن الهيئة والمنظر فيكون لك هيئة أهل الخير ومنظرهم، وأما المعنى الثاني فهو الطريق، فيلزم طريق أهل الإسلام ونهجهم.

فالسمت الصالح هو مظهر هام لصاحب الرسالة. يقول ابن تيمية مشدِّدا على أهميته:

«إن المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسبًا وتشاكلاً بين المتشابهين، يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس، فإن اللابس لثياب أهل العلم - مثلاً - يجد في نفسه نوع انضمام إليهم، واللابس لثياب الجند المقاتلة - مثلاً - يجد في نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه متقاضيًا لذلك»[1].

وما حلَّله المؤلف رحمه الله عن أثر التشبه والتقليد على الشخصية يستحق أن يكون اليوم قاعدة من قواعد علم الاجتماع، سبق بها رسول الله ﷺ حين قال: **«من تشبَّه بقوم فهو منهم»**[2].

أضف إلى هذا ما هو أكثر: التشابه في الزي والشكل والسلوك والعادات لا بد وأن يورث نوع مودة ومحبة بين المتشابهين مما يسميه علماء النفس اليوم: اللاشعور أو العقل الباطن، تمامًا كما أن المحبة في الباطن تورث تناسبًا وتشابها في الظاهر.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ١/١١ - تحقيق الشيخ حامد الفقي - ط مطبعة السنة المحمدية.

(٢) صحيح: رواه أبو داود عن ابن عمر والطبراني في الأوسط عن حذيفة كما في صحيح الجامع رقم: ٦١٤٩.

يقول شيخ الإسلام ابن تيميـــة:

«فإذا كانـت المشابهة في أمور دنيويـة تورث المحبة والموالاة، فكيف بالمشابهة في أمـور دينيـة؟! فإن إفضـاءها إلى نوع من المـوالاة أكثـر وأشـد»[1].

ومـن هـذا التميـز الذي يحـرص عليه صاحـب الرسالـة وصاحبـة الرسالـة:

- **الحرص على لغتنـا:**

وعدم استخدام اللغات الأجنبية على وجه الاعتياد والدوام أو لغير ضرورة، وهو ما أوصى به **عمر بن الخطاب** ﷺ وحرص عليه فقال: «إياكـم ورطانـة الأعاجـم»[2].

وهنا تبرز خطورة استجلاب البعض للخدم والمربيات والسائقين الأجانب، حيث يتعلم الأطفال منهم لغات غير لغتهم، ويتحدثون معهم باللسان الأجنبي لغير غرض سوى المباهاة.

- **الأعيـــــــــاد:**

فلا عيـد عندنا إلا الفطـر والأضحى، فلا أعيـاد ميـلاد وما شابـه، والأعيـاد في الإسـلام من جملـة الشرائـع والمناسك كالقبلة والصـلاة والصيـام، وليست مجرد عادات، وهنا يكون تقليـد الكافريـن أشـد وأخطـر.

---

(١) السابـــق ١/٢٢١.
(٢) السابـــق ١/١٨٢.





- **عدم التأنق الزائد:**

فلا يليق بصاحب الرسالة أن يسبي عقله آخر صيحات الموضة، ولا أن يقتني ألوان الأزياء التي يتفانى في شرائها فارغو العقول والقلوب، لأنه أعلى من ذلك وأسمى.

ذُكِر أن الدكتور **أحمد الملط** رحمه الله ذهب إلى الإمام **البنا** وهو يضع منديلا في جيب البدلة، فأخذ الإمام **البنا** يدخل المنديل في جيب البدلة، ويقول: يا أبو حميد.. لا يليق ذلك بالمجاهدين، فكان ذلك درسا عمليا في طبيعة حياة المجاهدين.

- **ترك المزاح المفرط:**

فلا يليق بصاحب الرسالة أن يشتهر بين أصحابه بالمزاح، ومن أكثر من شيء عُرِف به، ونسير هنا على طريق طالب الحديث كما أشار **الخطيب البغدادي** رحمه الله في الجامع لأخلاق الراوي حين قال:

«يجب على طالب الحديث أن يتجنب اللعب والعبث والتبذل في المجالس بالسخف، والضحك، والقهقهة، وكثرة التنادر، وإدمان المزاح والإكثار منه، فإنما يستجاز من المزاح يسيره ونادره وطريفه الذي لا يخرج عن حد الأدب وطريقة العلم، فأما متصله وفاحشه وسخيفه وما أوغر منه الصدور وجلب الشر؛ فإنه مذموم وكثرة المزاح والضحك يضع من القدر، ويزيل المروءة»[1].

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١٥٦/١ - مكتبة المعارف بالرياض - تحقيق د محمود الطحان.

- **لا للحجاب المتبرِّج:**

انبهارًا بالوسط المحيط المتدني، وتلبية لغريزة المرأة في التزين ولفت الأنظار، فتخلع الأخت خمارها السابغ، وترتدي الملفت من الألوان والمزركش من الثياب، ولا يعود الحجاب حاجبًا للزينة بل مصدرا لها.

٦) الحـــزن الحقيقـــي:



كان النبي ﷺ يحزن وتكاد روحه تزهق؟! علام؟!

اسمع ما خاطب الله عز وجل به حبيبه قائلاً:

﴿ فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَـٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: ٦].

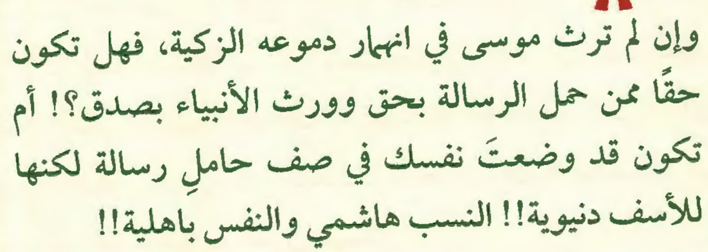
أي مرهقٌ نفسك، ومتلفٌ جسدك، وأنت تطلب هداية قوم يُعرِضون عنك، وتريد لهم الخير فيهربون منك، وتقدِّم لهم الجنة فيقتحِمون النار!!

فهل شابه قلبك قلب نبيك؟ وهل شعرت بما به شعر؟!



لكنه ﷺ لم يمشِ في الطريق وحده، بل اصطحب معه إخوانه من أولي العزم من الرسل، وفيهم موسى عليه السلام الذي بكى ليلة المعراج لأن غلاما بُعِث بعده - يعني نبينا ﷺ - يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل من أمة موسى[1].

وهـو والله بكـاء الأنبيـاء وورثـة الأنبيـــاء...



فهل بكيت أخي يومًا على ضعف غرسك وقلة عدد من يأتي يوم القيامة في ركبك؟!!

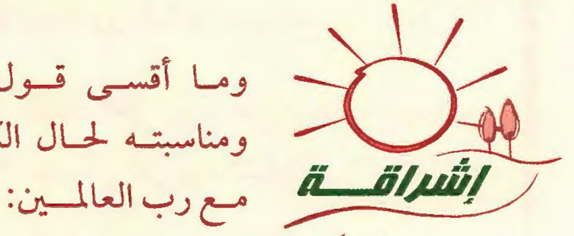
وإن لم ترث موسى في انهمار دموعه الزكية، فهل تكون حقًا ممن حمل الرسالة بحق وورث الأنبياء بصدق؟! أم تكون قد وضعتَ نفسك في صف حاملِ رسالة لكنها للأسف دنيوية!! النسب هاشمي والنفس باهلية!!

إن حزن صاحب الرسالة ليس على صفقة دنيوية ضاعت أو تجارة بارت، إنما حزنه العميق على حال الغافلين من أمته، وحسرته على فرصة هداية سنحت، أو غنيمة دعوية فُقِدت، وهذا الحزن هو أهم

---

(١) قال ابن حجر: «قال العلماء: لم يكن بكاء موسى حسدًا معاذ الله، فإن الحسد في ذلك العالم منزوع عن آحاد المؤمنين فكيف بمن اصطفاه الله تعالى، بل كان أسفا على ما فاته من الأجر الذي يترتب عليه رفع الدرجة، بسبب ما وقع من أمته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص أجورهم، المستلزم لتنقيص أجره، لأن لكل نبي مثل أجر كل من اتبعه، ولهذا كان من اتبعه من أمته في العدد دون من اتبع نبينا ﷺ مع طول مدتهم بالنسبة لهذه الأمة، وأما قوله غلام فليس على سبيل النقص بل على سبيل التنويه بقدرة الله وعظيم كرمه، إذ أعطى لمن كان في ذلك السن ما لم يُعطِه أحدًا قبله ممن هو أسنُّ منه». فتح الباري ٧/٢١١.

مفتاح من مفاتيح نجاحه، فكم من قلوب احترقت همًّا من أجل دينها ففاحت عطرًا شذيًا يجذب الناس إليها، وكم من نفوس ضاقت لحال أمتها فوسَّع الله لها أرجاء الأمل والعمل، وكم من عبرات سالت في المحن فارتوت منها الهمم ومزَّقت كفن الوَهَنْ، وتاريخ المصلحين يروي وهو خير شاهد.



وما أقسى قول محمد بن سوقة ومناسبته لحال الكثيرين وسوء أدبهم مع رب العالمين:

«أمران لو لم نُعذَّب إلا بهما كنا مستحقين بهما لعذاب الله: أحدنا يُزاد الشيء من الدنيا، فيفرح فرحًا ما علم الله أنه فرحه بشيء زاده قط في دينه، ويُنقص الشيء من الدنيا، فيحزن عليه حزنًا ما علم الله أنه حزنه على شيء نقصه قط في دينه»[1].

٧) التضحيـــة:

صاحب الرسالة يتقلب بين ألوان التضحية المختلفة، فمنها التضحية:

- **بالراحـــة:**

كان من وصف نبينا ﷺ أنه «ليست له راحة»[2].

(١) ذم الدنيا ١/ ١٤٠ - ابن أبي الدنيا.
(٢) صفة الصفوة ١/ ١٥٧ - دار المعرفة - بيروت.



وعلى قدر قربك من نبيك أو بُعدك يكون تعبك أو راحتك، ومن مفردات الراحة مكوث المرء في بيته، وهو عيب في عُرف شامخي الهمم، كما نطق بذلك لسان الصحابي المُبشَّر بالجنة **طلحة بن عبيد الله** رضي الله عنه حين قال: «إن أقلَّ العيب على المرء أن يجلس في داره»[1].

وكانوا يكرهون الراحة وكل ما يدعو إلى الراحة أو يُذكِّر بكلمة راحة، واستمع إلى همة **عطاء بن أبي رباح** وهو يقول: «لأن أرى في بيتي شيطانا خير من أرى وسادة لأنها تدعو إلى النوم»[2].

فلا بيت ولا وِسادة، كانوا قديما يألفونهما قبل الالتحاق بركب الدعاة ومعرفة شرف الغاية وعظمة المهمة وجلال الخطب وفداحة المصاب واحتدام الصراع، أما اليوم فمحال.

هؤلاء علموا أنهم إن استراحوا غزاهم الشيطان في عُقر دارهم وغرفات نومهم، وتأمل مقالة **أبي حامد الغزالي** - رحمه الله تعالى المنبثقة عن مشاهداته:

«اعلم أن كل قاعد في بيته - أينما كان - فليس خاليًا من هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن إرشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف»[3].

وكيف لا نضحي اليوم براحتنا في وقت يضحي فيه الكفرة وعباد الوثن والصليب بكل ما يملكون، ومقابل ماذا؟! أقصى ما ينالون

(١) طبقات ابن سعد ٢٢١/٣ - دار صادر - بيروت.
(٢) البداية والنهاية ٣٠٨/٩ - مكتبة المعارف - بيروت.
(٣) إحياء علوم الدين ٣٤٢/٢.



وغاية ما يحصِّلون: النار!! وقد شاهدها الأستاذ **عبد الودود شلبي**، وأبى إلا أن يقص علينا ما يُسقط لحم وجوه الكثيرين منا حياءً من راحة مدَّخرة بخلوا بها عن أمة في أمس الحاجة إليها:

«أذكر أنني ترددت كثيرًا جدًا على مركز من مراكز إعداد المبشِّرين في مدريد، وفي فناء المبنى الواسع وضعوا لوحة كبيرة كتبوا عليها:

أيها المبشِّر الشاب.. نحن لا نعد بوظيفة أو عمل أو سكن أو فراش وثير.. إننا ننذرك بأنك لن تجد في عملك التبشيري إلا التعب والمرض، كل ما نُقدِّمه إليك هو العلم والخبز وفراش خشن في كوخ فقير.. أجرك كله ستجده عند الله، إذا أدركك الموت وأنت في طريق المسيح كنت من السعداء»[1].

- **بالمـــــــــال:**

يا صاحب الرسالة

← أنت من سخَّرت مالك لدينك وجعلته طوعًا لأمر دعوتك، لأنك علمت أن المال مفارقك لا محالة، لذا أخرجته طواعية مثابا قبل أن يخرج عنك مُجبرًا مُهانًا في صفقة تجارية خاسرة أو حادث مفاجئ أو نفقات علاج مرض خطير.

← أدركتَ أن الله سائلك عن مالك فيم أنفقته، وأن أكثر ما يُفرِح الرب هو إنفاق ماله لنشر دينه ولو كان العبد في أمس الحاجة إليه.

(١) في محكمة التاريخ ص ٨٠ - عبد الودود شلبي، نقلا عن كتاب المصفى من أخلاق الدعاة ص ١٧٤ - عبد الحميد البلالي - ط دار الوفاء.

← خفتَ تبعة الغنى حين رأيت بعيني رأسك نفرا من إخوانك كثر مالهم حتى صاروا عبيد المال، وانشغلوا به عن رسالتهم ودعوتهم بعد أن كانوا رفقاء الأمس وشركاء الهم والأجر.

← لا تحث غيرك على الإنفاق ثم تبخل، ولا تجبي الأموال من الناس لتوصلها إلى مصارف الخير جالسا في مقاعد المتفرجين، وإنما أول درهم يسقط في صرة الصدقات درهمك، وأول يد تمتد بالصدقة يدك.

← محوت كلمة الإمساك من ذاكرتك، ونسيت نفسك لتذكر غيرك، فبذلت ما رآه غيرك سرفًا، ورددتَ على من عاب عليك كثرة إنفاقك بما ذكروه عن بعض الصالحين لما أنفق نفقة في الخير، فأكثر، فعاتبه صاحبه قائلا: لا خير في السرف، فأجابه: بل لا سرف في الخير!!

← تراقب على الدوام عقارب الساعة وهي تطاردك، وملك الموت وهو يلاحقك، لذا تبادر بالإنفاق في كل أحوالك وأغلب أوقاتك مخافة أن تغادر ساحة الحياة قبل أن تحوز الشرف وتنال الفضل.

ومع كل هذا.. فلا ترى في إنفاقك سوى فضل ربك عليك؛ لا ترى نفسك ولا إحسانك وإنما هو ربك وحده لا شريك له في الحمد.

كمين!!

يرهق نفسه بأقساط تكبِّله، ثم يتعلل بكثرة مسئولياته وثقل أعبائه؛ ليبرِّر بخله ويُسوِّغ لنا تخلفه، ويعِد إخوانه أنه لن يتأخر

عن الدعـوة بماله، وما درى أن الشيطـان قد اصطـاده في كمين محكم، وأن مسألـة تساقطـه مسألـة وقـت!! وهـذا مثلـه كحمار خرج يطلـب قرنـين فعـاد بلا أذنـين!!

- **بالوقــــــــت:**

أوقاتهم كلهـم لله، فلا يحصرون وقت الدعـوة في نشاط محـدود بل كـل سكنـاتهم وحركـاتهم مسخَّرة لدعوتهـم، إن طُلِبـوا وُجِدوا، وإن دُعـوا لبّـوا.

ولأنهـم يحاسبون أنفسهـم على أوقـاتهـم المبذولـة على الدوام، فسرعـان مـا يستدركون أي تقصيـر بتوبـة عمليـة ممثلة في مزيـد من البـذل والعمل، وعندهـا فحسـب - ومع مـلء كـل دقيقة فارغـة - يحق لهـم أن يفتخـروا بمـا سبـق وافتخـر بـه **عمـر بن الخطـاب** ﷺ وهـو يقـول كـل صبـاح ومسـاء:

«يـا ملك المـوت!! خـذني في أي وقـت شئـت!!»[1].

كمـــال التضحيـــة

أصحـاب الرسالـة عشاق كمـال، نعم.. نحـن عشـاق الكمـال، لذا سعينـا إلى كمـال التضحيــة:

← **ومـن كمـال التضحيـة:** المداومة على التضحية حتى يتعوَّد القلب لـذة العطـاء كما اعتـاد لذة الأخـذ.

(١) تنبيه المغترين ص ٨٩ - الإمام أبوبكر الشعراني - ط مصطفى البابي الحلبي.

← ومن كمال التضحية: الفرح بالتضحية كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في شأن أبيها أبي بكر ﷺ: «ما علمتُ الرجل يبكي من شدة الفرح إلا يومئذ حينما رأيت أبي يبكي من شدة الفرح»[1]، وذلك حين بشَّره بصحبته يوم هجرته.

← ومن كمال التضحية: الانطلاقة الواثقة بعد انقشاع المحنة الماحقة، فلا تخدش المحنة ثبات مجاهد، ولا تنال من عزيمته إلا كما ينال الغبار من قرص الشمس، فيخرج من البلاء أكثر بريقًا وأعظم تأثيرًا، واسمع لشاعر اليمن محمد محمود الزبيري يهتف على باب سجنه وهو يودِّع الأسر:

خرجنا من السجن شُمَّ الأنوف ... كما تخرج الأُسد من غابها
نمُرُّ على شفرات السيوف ... ونأتي المنية من بابها
ونأبى الحياة إذا دُنِّست ... بعَسْف الطغاة وإرهابها

← ومن كمال التضحية: الثبات على الدعوة حتى الممات.

عن عبد الله بن شقيق قال: «سألت عائشة: أكان رسول الله ﷺ يقرأ السورة في ركعة؟ قالت: المفصَّل[2].

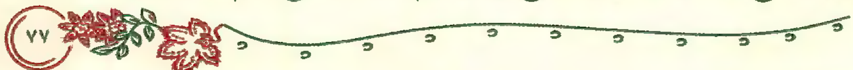
قال: قلت فكان يصلي قاعدًا؟!

قالت: حين حَطِمه الناس»[3].

(١) هذه اللفظة ليست في حديث البخاري، وانظر القصة في صحيح البخاري رقم: ٣٩٠٦، وقول عائشة هذا أخرجه ابن إسحاق في سيرة ابن هشام، وراجع فتح الباري ٧/٢٣٥.

(٢) المفصَّل: هو ما بين سورة ق وقيل الحجرات إلى آخر المصحف.

(٣) صحيح: رواه أبو داود كما في صحيح أبي داود رقم: ٨٤٣، وأخرج مسلم الشطر الثاني منه.



وحطمه الناس: تُقال للرجل إذا كبر عمره وصار شيخًا، ويُقال: حطم فلانًا أهلُه إذا كبر فيهم كأنه لما حمل من أمورهم وأثقالهم والاعتناء بمصالحهم صيَّروه شيخًا محطومًا.

والمنتظر منك... يا من قدوته نبيه أن تقتفي أثره ﷺ وتقلِّد، فتواظب على دعوتك شابًا وشيخًا، صحيحًا وسقيمًا، فارغًا وشغولاً حتى يحطمك الناس في سبيل الله، ويمتصوا مجهودك وأنت تدعوهم حتى آخر رمق، ويقطفوا ثمرة فؤادك من فرط حرصك على هدايتهم.

وبهذا وحده تسلك طريق الفداء، وتنتسب لكتيبة الفدائيين التي عناها **الشيخ الغزالي** في قوله:

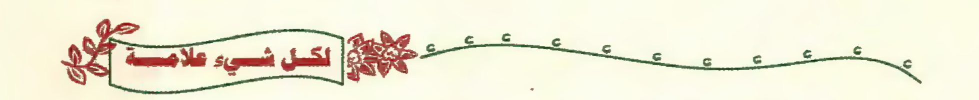
«رجال الدعوات يذيبون قواهم وشبابهم في أداء رسالتهم، ويسكبون دماءهم ويحرقون أعصابهم لتتألق بهم الرسالات التي يعملون لها، فتتحول بهم إلى سيل جارف، ويتحولون بعدها إلى رفات هامد، هذا سبيل الفدائية المحفور في تاريخ البشر منذ الأزل»[1].

ترجو بذلك كمال التأسي بحبيبك الذي ظل على أداء المهمة والمحافظة على أعباء الرسالة حتى كان يردِّد حتى اللحظة الأخيرة والموت منه على بعد أشبار: **«الصلاة وما ملكت أيمانكم»**.

---

(١) تأملات في الدين والحياة ص ٥٢ - محمد الغزالي - ط دار القلم.





يعلِّم بذلك حملة الرسالة من بعده الدرس الأخير:

أن يحملوا هم الدعوة دائمًا وفي أحرج الأوقات... لا في لحظات عابرة من الحياة فحسب...

فما كان لصاحب الرسالة أن ينسى دعوته لحظة، وهل ينسى المريضُ مرضه، والجائعُ جوعته، والمحمومُ حُمَّاه...

نعم... لا يترك داعية دعوته إلا إذا تركت الكواكب أفلاكها والوحوش أوكارها.

إن الطيور وإن قصصتَ جناحها
تسمو بفطرتها إلى الطيران

وهذا هو دور الأنبياء في الحياة والمهمة التي ابتعثهم الله من أجلها: أن يرى الناس هذه النماذج البشرية الكاملة، فيقبسوا منها ويقلِّدوا، وقد أوجز **الرافعي** هذا في كلام ارتفع به ورفع، فقال عن دور النبي:

«كأن الحقيقة السامية في هذا النبي تنادي الناس: أن قابِلوا على هذا الأصل، وصحِّحوا ما اعترى أنفسكم من غلط الحياة وتحريف الإنسانية»[1].

(١) وحي القلم ٢/٦ – ط المكتبة العصرية – بيروت.



أحبتـــاه.. شركائي في توقيـع عقـد البيـع مـع الله.. ضعـوا نصـب عيونكـم:

← التضحية وقود الدعوات، وأنه كلما عظمت التضحيات كبرت مكاسب الدعوة، واقترب نصرها ودنت غاياتها.

← بقدر ضخامة الهدف تكون التضحية من أجله.

وقديمـًا قالـــوا:

من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل، وطلبنا أن نعيد لهذا الدين عزه، ونرد له مجده المستباح وكرامته السليبة، مرادنا أن تعود الشريعة الغراء ترفرف في سمائنا، وأملنا الذي يحدونا أن نرفع الظلم عن إخواننا في كل بقاع الأرض..ألا تستحق كل هذه الأهداف الجليلة منا التضحية في سبيلها.. ألا نسترخص في سبيل ذلك العرق والجهد والألم والبلاء؟!

وقفـــة فوثبـــــة!!

والآن.. أخي.. ضـع نفسـك في غرفـة المحاسبـة.. وعلى كرسي الحقيقـة.. وواجههـا بقـولك:

أهـل الباطـل يبذلـون في سبيـل الباطل ليدخلـوا النـار، فماذا بذلـتُ أنا في سبيـل الحـق لأدخـل الجنـة؟!

هل وعيتُ حقًا وصية الفـاروق ﷺ وأثبتَّ له بعملي أني خير وريث وهو الذي سنَّ قانون المحاسبة: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا»؟!

هـل جلسـت مع نفسك يومـًا في لحظـة صفـاء وصـدق تسألهـا: مـا هـو الأثـر الذي سأتركـه خلفـي؟! ... مـا هـي القُـربى التي أرجـو أن يصلني ثوابهـا بعـد مـوتي؟!

واجـه الحقيقـة ولو كـانت مُـــرَّة:

← كم مضى من عمرك، وماذا قدَّمت فيه لدينك؟!

← راجع النعم التي اختصَّك الله بها وانظر فيم سخَّرتها؟

← هل استحوذَت عليها دنياك أم ادَّخرت منها شيئا لدينك الجريح وقومك المغلوبين؟!

اطرح عنك تلبيس إبليس وأعذار المفاليس.. واسأل نفسك الآن والله مطلـع عليـك:

← هل تعمل لدينك وتبذل لدعوتك ما دمت فارغًا، فإذا عرفتك الأسواق وصفقات التجارات توارت الدعوة عندك إلى الأولوية العاشرة؟!

← هل تقدِّم لدعوتك هوامش أوقاتك وفضلة حياتك؟!

← هل تسعى لمد الدعوة بروافد جديدة كما تسعى لمد راتبك بمـوارد جديـدة؟!

← هل يؤرِّقك نشر الهداية وتوسيع رقعة الصالحين كما يؤرِّقك السعي على الرزق وتأمين حياة أبنائك المقرَّبين؟!

ألا ما أحلى هذه الجلسات التأملية المباركة التي يعقبها القرار الحاسم والقفزة الجريئة نحو البذل الفريد والتضحية الفـذَّة.

٨) صيـــد الغافليـــــن:

صاحب الرسالة صيَّاد يقتنص كل حين قلبا، ومن أراد اصطياد قلوب الرجال، نثر لها حب الإحسان والإجمال، ونصب لها شباك الفضـل والإفضـال.

مرَّ النبي ﷺ يومًا بالسوق بجدي أسكٍّ ميت والناس عن جانبيه، فتناوله بأذنه ثم قال: «أيكم يحب أن هذا بدرهم»، فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟! قال: «أتحبون أنه لكم؟» قالوا: والله لو كان حيًا لكان عيبـًا فيه لأنه أسك فكيف وهو ميت، فقال: «**والله للدنيا أهون على الله عز وجل من هذا عليكم**».

فالنبي ﷺ اغتنم هذه الفرصة فرمى رميته، لأنه ليس كل مرة تتاح الفرصة، ويكون الصيد في ظرف مهيأ، ومن غفل هرب الصيد منه ونـدم على ذلـك.

يقول الأستاذ **سعيـد رمضـان** رحمه الله حاكيـًا عن موقف من مواقف الإمام **البنـا** مهتبلاً فرصة دعوية واتته، وأنى لمثله أن يدعها:

«إن أنس لا أنسى موقفه رضوان الله عليه في أمسية مشهودة بمدينة طنطا في دلتا مصر، وقد احتشد أمامه قرابة أربعين ألفا من فئات الناس بينهم شهرة من أتباع عدة طرق صوفية، شاع بعضهم على النفرة من طابع الحركة المتحمسة كأنهم يرونه يجافي وداعة معنى العبادة على ما لقنوة وتحدد مفهومهم به، فإذا بعد استرسال روحي خالج غائر النفوس في صفاء ويسر يقول لمستمعيه فجأة في إشراقة كأنها السِّحر:

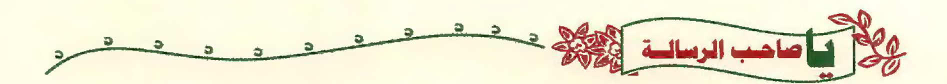
ألا تعجبون معي من إخواننا العُبَّاد الذي لا ينقطعون عن تلاوة دعاء الشيخ أبي الحسن الشاذلي في حزب البر، ويرددون من ذلك دائمًا: اللهم وارزقنا الموتة المطهرة.

ماذا تراهم يستحضرون في معنى الموتة المطهرة؟! الا إن أكبر موتة يحبها الله هي هذه!! ورفع يده فمرَّ بها على رقبته إشارة إلى قطع الرقاب في سبيل الله عز وجل.. فكأنما والله مسَّت الناس كلهم كهرباء، واستعلن أمامهم مشهد الفداء والذبح رأي العين.. فسالت دموع وثارت عواطف وتعالت هتافات».

إن الفرص الجاهزة اليوم للقنص كثيرة، لكن شأنها شأن أي فرصة من الفرص: أكثر الناس لا يرونها وهي مقبلة، ويلمحونها فقط وهي ترحل، ولا يجب أن يستدعي ذلك مشاعر اليأس لديك، لأن في رحم الغيب آلاف الفرص السانحة التي تدعوك وتناديك وتنتظر أن تواتيك.

٩) صوِّب نحو الهدف:

وهو هدف غزير الفوائد متعدد المنافع، من ظفر به فقد أدرك كثيرًا من غاياته الدعوية، وتجددت نيته مع كل عمل يؤديه، وتضاعفت كفاءة إنجازه أضعافًا مضاعفة، ومن أجل توحيد فهمنا لمعنى «التصويب نحو الهدف» كانت هذه الأركان الخمسة، جعلني الله وإياك ممن يحفظون ويحافظون:



- **الركن الأول: وضوح الأهداف على الدوام:**

لتكون الأهداف هي القوة الدافعة إلى العمل لا الأنشطة، والغايات لا الوسائل، فإلقاء درس في المسجد مثلا ليس هدفا في حد ذاته بل وسيلة، وفتح حوار مع زملاء العمل وسيلة، والجلوس مع أسرتك في لقاء إيماني أسبوعي ليس هدفـًا بل وسيلة.

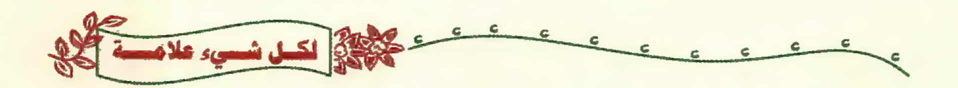
فهذه كلها وسائل أو طرق مؤدية إلى الأهداف، وقد تضطرب البوصلة مع الزحام وكثرة الأعباء، فلا ندرك الهدف أو ننحرف عنه، بل قد نسير عكس الاتجاه فتأتي النتيجة عكسية.

ولنذكر - تأكيدا على هذا المفهوم - أن صراعنا مع الشيطان هو صراع أهداف في الأساس قبل أن يكون صراع وسائل ﴿ **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ [ص:٨٢]، فالهدف الثابت:الإغواء، أما الوسائل فمتجددة يغيِّرها الشيطان كل يوم بل كل ساعة، ومطلبي منك هنا على التحديد أمران:

← أن يكون هدفك الدعوي هدفًا حقيقيًا لا نشاطًا عابرًا.

← أن يكون هذا الهدف كما يقول أهل الإدارة: محددًا، قابلاً للقياس، واضحـًا، واقعيـًا، محددًا بخطة زمنيـة، هذا وإلا لم يمكنك التركيز على الهدف ومن ثم تحقيقه.

فـإذا وضعـت هدفـك نصـب عينيـك، فانتقـل إلى..



- **الركن الثاني: إدراك أن الأهداف أعلى من الوسائل:**

وهي قاعدة لها ما بعدها، ولذا ربط القرآن المقاصد بوسائلها، فهدف الصيام الوصول إلى التقوى، وهدف الصدقة التطهير والتزكية، ومن أهداف الصلاة النهي عن الفحشاء والمنكر، وقد أكَّد النبي ﷺ هذا حين أشار إلى الصائم الذي ليس له من صيامه سوى الجوع والعطش، والقائم الذي ليس له من صيامه سوى التعب والسهر، ليبصِّرنا بالغايات من العبادات، وهو ما قرَّره الأصوليون من أن المقاصد أسمى من الوسائل، فقال **إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي**:

«وقد تقرر أن الوسائل من حيث هى وسائل غير مقصودة لأنفسها، وإنما هى تبع للمقاصد بحيث لو سقطت المقاصد سقطت الوسائل، وبحيث لو توصل إلى المقاصد دونها لم يتوسل بها، وبحيث لو فرضنا عدم المقاصد جملة لم يكن للوسائل اعتبار بل كانت تكون كالعبث»(١).

الأهداف إذن ثوابث لا خلاف عليها، أما الوسائل فتخضع للظروف المتغيرة الزمانية والمكانية والشخصية، ويمكن استبدالها وتغييرها حسب الحاجة والظروف، ومن الضروري الوعي بأن الوسائل ما هي إلا طرق مؤدية إلى الأهداف، أما حين تتحول الوسائل إلى أهداف فعندها يتأخر الهدف بل يضيع، وعندها تتحول الوسائل إلى أهداف وهمية تستهلك الوقت وتستنفد القدرات.

---

(١) الموافقات ٢١٢/٢ - إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي - ط دار المعرفة - تحقيق عبد الله دراز.

وتطبيقـات هـذه القاعـدة وثمراتهـــا:

← **المرونـــــــــة**: فلا نقع أسرى وسيلة بعينها قد تكون مستهلكة، بل نجدد ونبتكر إذا لم نصل إلى مرادنا بالوسيلة المعتادة، أو نلجأ إلى طرق أخرى إذا حيل بيننا وبين وسيلة من الوسائل، والحاجة أم الاختراع.

← **الكفـــــــاءة**: وذلك بأن نختار الوسيلة الأسهل، والأقل ضررًا، والأوفر نفقة، والأكثر نفعًا، والأسرع نتاجًا، ذلك أن الغاية الواحدة قد تتعدد الوسائل التي تفضي إليها، وكلما كانت الوسيلة أقدر على تحقيق الغاية المطلوبة تقدَّمت على غيرها من الوسائل. قال **العز بن عبد السلام**: «وكلما قويت الوسيلة في أداء المصلحة؛ كان أجرها أعظم من أجر ما قصُر عنه»[1].

← **معرفـــة الأولويـــات**.. ومراعاة الأهم فالمهم، والواجب ثم النافلة في اتفاق بين أصحاب الرسالة يمنع من التنازع والاضطراب.



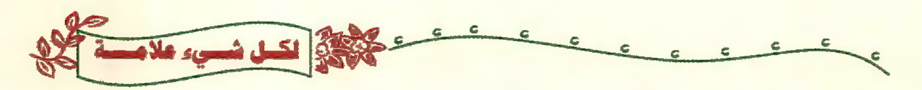
وأخـــيرًا ...

تذكَّر أخي أنك إذا فقدت وسيلة لن تُعدم أخرى...

لكنك إذا أضعت الهدف ضعت!!

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١/٢٢٨ - العز بن عبد السلام.



وهاك ترجمة عملية ما أقول على أرض الواقع وفي ساحة الدعوة:

← أخ يخرج مع زوجته في نهاية كل أسبوع في نزهة ترويحية؛ ويحسب أن ذلك وحده يحقق هدف زيادة الألفة والمودة بينهما، ففوجئ بها تنفجر في وجهه في نزهة من النزهات، وهنا أدرك أن الوسيلة التي اعتمدها لا تحقق الهدف المنشود، وأن زوجته في حاجة إلى شيء آخر، فليطوِّر أو يغيِّر.

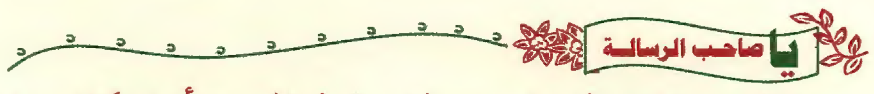
← مقرأة في مسجد مجاور بدأ نشاطها يخبو وينفتض الناس عنها؟! راجع أهدافك، والجمهور المستهدف، ونفس الوصية: فليطوِّر أو يغيِّر.

- **الركن الثالث: توفير الإمكانات والنفقات:**

كأي مشروع لابد له من نفقات، وبدون هذه النفقات تظل الوسائل المقترحة خيالا والأهداف محالا، وعلى حسب الهدف والوسائل المؤدية إليه تتغير المتطلبات والاحتياجات، فاختر – أخي صاحب الرسالة – الموارد المناسبة، وهذه قد تكون مرة وقتًا ومرة مالاً ومرة جهدًا أو كل هذه مجتمعة.

← تريد مثلاً توصيل مفهوم إلى زميل العمل أو جار المسكن، وهذا يتطلب منك زيارة، أو تمهيدًا بهدية غير متكلفة، أو مكالمة هاتفية، أو أداء واجب تهنئة في مناسبة سعيدة.

← تريد حفظ سورة من كتاب الله، وهذا يتطلب أن توفِّر لهذه المهمة وقتًا وجهدًا محروسين بهمة وعزيمة، وأن تقتطع لها من أصل



وقتك من خلال مكوث حتى الشروق في المسجد أو اعتكاف بين المغرب والعشاء، دون أن تعلِّق الأمر بوجود الفراغ، فهو السراب.

أخـــي..

كل رغبة منك لا يؤازرها نصب رغبة زائفة، وكل دعوة مع إيثار راحة محكوم عليها بالفشل...

لذا.. فالبخلاء يمتنعون ومن ثمَّ محرومون، وكل من ضنَّ اليوم بوقته أو جهده أو ماله، فلا ينتظرنَّ من الله فتحًا ولا من الملائكة مدحًا.

- **الركن الرابع: استشعار المسئولية مع بذل آخر ذرة جهد:**

وهو أن تخاطب نفسك قائلا: هذا الهدف سأُسأل عنه وحدي، ولن يقوم به في هذا الكون غيري، وهنا تبرز على الألسنة بعض عبارات:

← اعمل ما عليك والباقي على الله.

← نحن مطالبون بالعمل ولسنا مطالبون بالنتائج.

وكم استُخدِمتْ هذه العبارات في غير موضعها، وكانت ذريعة لكثير منا أوصلتهم إلى ضعف التركيز وقلة التصميم، ومن ثم عدم بلوغ الأهداف.



إن أبواب الخير كثيرة، ولن يُعدم صاحب العزم سبيلاً يوصله، أما التوقف أمام أول عقبة والاستسلام لها تحت دعوى استنفاذ الوسائل، فهذا ما لا يقول به صاحب همة دنيوية فضلا عن صاحب رسالة ربانية موعود بالجنة والتلذذ برؤية وجه رب كريم.

وترتبط سنة التغيير بوعد إلهي حق، فقد وعدنا الله أننا إذا بذلنا ما نستطيع من جهد وفي حدود إمكاناتنا في سبيل التغيير، فهنا يتدخل ربنا بقوته التي لا تُغلب، وقدرته القاهرة لينجز لنا ما يفوق إمكاناتنا وما لا سبيل لنا إليه، وتأمَّل معي روح التصميم وتحمل المسئولية التي تُشِعُّ من كلمات الصحابة الذين تربوا في خير مدرسة؛ مدرسة النبوة:

- قال **سعد بن الربيع** ﷺ وهو في الرمق الأخير في غزوة أحد مخاطبا قومه من الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف.

  ولهذا رأى الصديق **أبو بكر** ﷺ أن سعدًا خير منه، فلما دخل عليه رجل وبنت لسعد **بن الربيع** جارية صغيرة على صدره يرشفها ويُقبِّلها، فقال له الرجل: من هذه؟ قال: «هذه بنت رجلٍ خيرٌ مني: **سعد بن الربيع**»[1].

- وحمل **أبو بكر** ﷺ نفس الروح، واذكروا صيحته الشهيرة حين صاح كالأسد المزمجر في مواجهة المرتدين قائلاً: أينقص هذا الدين وأنا حي!!

(١) سيرة ابن هشام ٤/٤٣



هذه هي الروح التي ننشدها، وهذا هو النبض الذي نبحث عنه ونفتقده، فماذا جنيت من وراء قراءة هذه الأخبار؟! ومن لم يبذل آخر ذرة جهد لديه فلا يلومن إلا نفسه إن لم يصل إلى هدفه ويحقِّق بغيته.

وأسألك ولتسأل قبلها نفسك: ألا تبذل في سبيل نيل ترقية أو رضا مدير أفدح من هذا؟ ألا تسهر الليالي الطوال مضحياً بنومك وراحتك في سبيل تحصيل شهادة أو مرتبة علمية؟! ومع هذا لا نسمع منك: هذه حدود إمكاناتي!! هذا أقصى ما أستطيع...

ولا أملك إزاء أعذارك هذه سوى أن أصدح في أذنك طارداً شيطانك موقظاً إيمانك:

أخي.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أجل وأعظم!!

- **الركن الخامس: المتابعة المتابعة:**

ما معنى المتابعة؟!

← إذا مرض أحد أبنائك.. هل تكتفي بتقديم العلاج له أم تواظب طوال الليل على الاطمئنان على حالته، وتسهر بجواره، مع توفير التهوية المناسبة وتلبية احتياجاته؟! وإذا لم تلمح تحسناً في المدى القريب.. ألا تراجع الطبيب مرة أخرى ليغيِّر الدواء وإلا غيَّرت الطبيب نفسه؟!

← وفي حالة دراسة ابنك.. هل تكتفي بتوفير الدروس له طوال العام أم تتابع مستواه بدقة أثناء الدراسة من خلال اختيار مدرسيه،

ومراجعة عدد ساعات دراسته، مع تهيئة الجو المناسب للمذاكرة، ثم تسأل مدرسيه عن تحصيله لا مجرد حضوره وانصرافه بما يضمن التقدم نحو الهدف وتحطيمه آخر العام؟!

← وفي حالة ضربك بأموالك في تجارة، ألا تتابع كل يوم ما ورد إليك أو خرج من أموال أو سلع، مع يقظة تامة ومراقبة لتقلبات السوق وأداء موظفيك، مع التدخل السريع عند الإحساس بأي مخاطرة أو تهديد.

تُرى..ماذا الذي يدفعك إلى مثل هذه المتابعات الدنيوية اللصيقة، ولا تسلك السلوك نفسه في شئون دينك ومن أجل دعوتك؟!

١٠) الطموح الدعوي:

سمع **مالك بن دينار** رجلاً يقول: «لو أعطاني الله تعالى في الجنة بيتًا صغيرًا لرضيت به، فقال له مالك: ليتك يا أخي زهدت في الدنيا كما زهدت في الجنة!!»[1]، وصدق شاعرنا المؤمن يروي جانبًا من الواقع المرير الذي نحياه:

أرى رجالاً بأدنى الدين قد قنعوا ... ولا أراهم رَضوا في العيش بالدّونِ

ولن يقبل صاحب الرسالة اليوم بفتات الفتات فضلاً عن الرضا بالفتات، ولن يكتفي بالمطالبة بحقوق أمته المغتصبة، بل سيسعى

(١) تنبيه المغترين ص ٧٧ - ط مصطفى البابي الحلبي.

لتحقيقها واقعًا حيًا، ولن يقبل أن يشترك مع الإسلام مرجع آخر في التوجيه والسيادة فضلاً عن الرضا بأن يكون دين الله في الهامش، ولن يكتفي بالمطالبة بأن يكون في الصدارة، بل أن يصنع هو الصدارة بعينها.

إشراقة

روت قُتيلة بنت صيفي الجهنية رضي الله عنها:

أتى حَبرٌ من الأحبار رسول الله ﷺ فقال: يا محمد!! نِعْم القوم أنتم لولا أنكم تشركون، فقال رسول الله ﷺ: «**سبحان الله وما ذاك!**». قال: تقولون إذا حلفتم: والكعبة. قال: فأمهل رسول الله ﷺ شيئًا، ثم قال: «**إنه قد قال، فمن حلف فليحلف برب الكعبة**». قال: يا محمد.. نِعم القوم أنتم لولا أنكم تجعلون لله ندًا. قال: «**سبحان الله وما ذاك؟!**». قال: تقولون: ما شاء الله وشئت، قالت: فأمهل رسول الله ﷺ شيئًا، ثم قال: «**إنه قد قال، فمن قال: ما شاء الله، فليفصل بينهما ثم شئت**»[1].

لقد قبل النبي ﷺ النصيحة من يهودي... فكيف لا تقبل أنت نصيحة أخيك المسلم؟! ...

وأنا عليك حريص.. ولك محب.. وأحمل نفس همك.. ورفيقك في طريق النجاة!!

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وأورده الألباني في الصحيحة رقم: ١١٦٦.



هل أنت مهموم بدعوتك؟!

١) هل تجلس مع نفسك ليس لك هم ولا غرض إلا أن تحاسبها على ما بذلت لدينها؟!

- ☐ أحاسب نفسي يوميـًا على ما قدمت لديني ودعوتي.
- ☐ أحاسب نفسي كل فترة (على الأقل مرة أسبوعيا) على ما بذلته.
- ☐ نادرا ما أحاسب نفسي على أدائي الدعوي.

٢) هل تعاتب نفسك وتتألم إن قصَّرت في أي واجب من واجباتك الدعويـة؟!

- ☐ أشعر بالحزن و الأسى إن قصرت.
- ☐ أشعر بالتقصير الدائم نحو دعوتي مهما قدمت لها وتعبت في سبيلها.
- ☐ قد تسقط مني بعض الواجبات الدعوية دون أن أحزن لذلك أو أتألم.

٣) هل تقهر أعذارك إذا صادفتك أثناء تصديك لمهمة دعوية؟!

- ☐ اؤمن أنه إذا صدق عزمي أُرشِدتُ إلى الحيل، فلا يقوى أي عذر على قهري وتقييدي عن أداء واجباتي الدعوية.
- ☐ إذا اشتدت بي الأعذار..أؤجِّل بعض واجباتي الدعوية دون أن أسقطها بالكلية مهما كانت الظروف.
- ☐ أعتذر عن ارتباطاتي الدعوية تحت وطأة ظروفي القاهرة.

٤) هل قدّمت فكرة دعوية جديدة خلال الأشهر الثلاثة الماضية، وهل ثابرت عليها حتى خرجت إلى النور؟!

☐ أجلس مع نفسي بصورة دورية لأفكر فيما سأقدمه من جديد من أجل ديني.

☐ أحرص على التجديد والابتكار باستمرار في أعمالي الدعوية من أجل تطوير العمل الدعوي والانطلاق به.

☐ أرى الأفكار الموجودة كافية لكنها تفتقد إلى من يقوم بها.

٥) حين ترى توالي المحن بالأمة.. هل تحوّل طاقة الألم في قلبك إلى وثبة عمل؟!

☐ للأسف..من كثرة ما أرى من مصائب المسلمين أصابني الإحباط، ومع الوقت تبلد إحساسي فلم تعد تحرّكني الجراح.

☐ عندما أرى مصائبنا...أتحسر وقتيا وأحاول أن أتناسى هذه المصائب حتى أستطيع أن أمارس حياتي بصورة طبيعية.

☐ أجلس مع نفسي لأفكر كيف نخرج من هذه النكبات، وأذكّر من حولي بها وأدعوه إلى التحرك الإيجابي، فتكون المحن بمثابة محفزات على أداء أعمالي الدعوية.

٦) هل تؤثر الدعوة بوقتك مهما كنت مشغولاً؟

☐ أنظم أوقاتي لأبذل لدعوتي من أصل وقتي مضحياً من وقت راحتي إن لزم الأمر.

☐ أنظم واجباتي الدعوية بعد أن أرتّب أعباء عملي واحتياجات أسرتي.

☐ أقوم بالدعوة في أوقات الفراغ بعد الانتهاء من أعبائي الأخرى.

٧) هل تحرص أن يكون لزوجك نفس همِّك فتساهم في نشاطات الدعوة؟! وهل تتحمَّل عنها قليلا من أعباء البيت في سبيل ذلك؟!

لصاحب الرسالـــة:

☐ أحرص على مشاركة زوجتي في النشاطات الدعوية الخاصة ببنات جنسها، وأشجعها على ذلك مع تحملي في سبيل ذلك بعضا من مسئوليات البيت إذا اقتضى الأمر.

☐ لا مانع عندي من مشاركتها في الأنشطة الدعوية لكن بشرط انتهائها من كافة مهامها وواجباتها المنزلية.

☐ أرى أن دور المرأة في بيتها هو الأساس، ولا داعي لأن أشتت جهد زوجتي في الأعمال الدعوية الأخرى.

لصاحبة الرسالـــة:

☐ أشجع زوجي دائما على أداء أعماله الدعوية، وأقوم بتذكيره إذا نسي أو فتر، مع مراعاتي له إن كان متعبًا.

☐ كثيرا ما أتضجر من كثرة انشغاله عني حين أقارن نفسي بصاحباتي اللاتي يتمتعن بسائر أوقات أزواجهن.

☐ أحاول أن أكون عاملا محفِّزا لزوجي في دعوته، لكن أحيانا يغريني الشيطان وتزدحم عليَّ متطلبات الحياة فأثنيه عن بعض أعباء رسالته.

٨) هل تقوم نيتك الصادقة بالمهمة ويتكفَّل قلبك بالعمل إذا واجهتك عقبة أعاقتك عن عمل دعوي فلم تشارك إخوانك عملا دعويا؟!

☐ لا أسمح للعقبات مهما كانت أن تعيقني عن أعمالي الدعوية...بل أقهرها إلا إذا كانت شديدة لأقصى حد.

☐ إذا حال بيني وبين عمل دعوي عذر قاهر أجدد النية لأنال مثل أجر العاملين.

☐ أنسى استحضار نية العمل في حالة الاعتذار.



صوّب نحو الهدف:

١) هل أهدافك الدعوية واضحة دائما؟

☐ لدي هدف واضح ومحدد وقابل للقياس والتطبيق ومحدد بزمن.

☐ لدي آمال دعوية لكنها ليست في صورة هدف واضح.

☐ لدي هدف محدد واضح غيرمرتبط بخطة زمنية.

١) هل تميز بين الأهداف والوسائل بحيث تكون أهدافك دومًا أعلى من وسائلك؟!

☐ أراقب بصورة دورية فاعلية وسائلي في الوصول إلى أهداف.

☐ دائم البحث عن وسائل أفضل ولو كانت الوسيلة الحالية تؤدي المطلوب.

☐ على استعداد أن أغير وسيلة قديمة بأخرى جديدة إذا كانت الثانية أكثر فاعلية وأسرع في الإيصال إلى الهدف.

٢) هل تحرص على توفير الإمكانات والنفقات اللازمة للوصول إلى الهدف؟

☐ أوفِّر الوقت اللازم للوسيلة التي توصل إلى الهدف.

☐ أوفِّر الجهد والمال اللازمين.

☐ تقدِّم وتبذل لهدفك إلا إذا ازدحمت عليك الأشغال وتوالت عليك طلبات العيال.

٣) هل تتابع متابعة يومية - أسبوعية - شهرية الوصول إلى أهدافك؟

☐ أتابع خطتي الدعوية حسب توقيتاتها الزمنية باستمرار...فواجباتي اليومية أراجعها يوميًا، والأسبوعية أتابعها أسبوعيًا، وخطتي لشهرية أنتظر نتائجها شهريًا.

☐ ليس لدي خطط دعوية مقسمة ولكني أتابع واجباتي الدعوية كلما أتيحت لي الفرصة.

☐ قليلا ما أتابع خططي الدعوية..لأنني أتحمس لها عند وضعها، ولكن قليلا ما أعود إليها لأقيس ما توصلت إليه من خلالها.







ذاتيــة الانطـلاق والاستمـرار:

١) عندما تُصاب الأمة بحدث جلل(كحادث اقتحام اليهود للأقصى)

☐ أقوم بالتفكير في أعمال دعوية كرد فعل واجب و أدعو من حولي للمشاركة.

☐ أنتظر من يدعوني للقيام بأعمال لصد مثل هذه الهجمة.

☐ أقترح على الآخرين التفكير و القيام بأعمال إيجابية قصيرة المدى وطويلة المدى للرد على هذه الهجمة.

٢) إذا ذهبت إلى مكان لم تجد فيه من يعينك على أمر الدعوة:

☐ أبحث عن من يعينني على دعوة الآخرين.

☐ أبدأ في دعوة من حولي و أبحث فيهم عمن يعينني بعد ذلك.

☐ لا أستطيع ابتداء عمل دعوي وحدي.

٣) إذا شعرت بتقصير فيمن حولك ممن يعينونك على دعوة الآخرين:

☐ أترك هذه الصحبة و أبحث عن من يعينني بشكل أفضل.

☐ أشعل فيهم نار الحماسة و أضرب لهم القدوة في النشاط و الحركة.

☐ يفتر نشاطي وأقصّر في واجباتي الدعوية.

٤) هل لا تتحرك إلا بتوجيه إخوانك وصيحة: قم يا فلان؟

☐ غالبا ما يكون هذا حالي.

☐ أتحمس ما دمت وسط مجموعة يملؤها الحماس، وأفتر إذا كنت وسط كسالى.

☐ أعرف ما علي وأؤديه سواءً وجدتُ العون أو لم أجد.

٥) عندما ترى موقفًا منافيًا للأخلاق و من المنكرات الصارخة في الشارع:

☐ أخجل من أن أتحدث مع صاحب المنكر لئلا أتعرَّض للإحراج.

☐ أعجز عن الحديث مع صاحب المنكر لأن ليس لدي العلم الكافي و المهارة اللازمة لذلك.

☐ أكسل عن الحديث مع صاحب المنكر دون سبب واضح.

☐ أرى أنه لا فائدة في الحديث مع صاحب المنكر، فأنسحب دون أن أفكر في الحديث معه لأنه لن يستجيب.

☐ عادة ما أكون مستعجلا فلا أجد الوقت الكافي للحديث معه.

☐ أحجم أولا عن الحديث معه و لكن أقهر هذا الإحجام، ثم أنطلق للحديث معه بأدب و رفق.





الفصل الثالث:

قفز الحواجز



قفـــز الحواجـــــز



أيهـــا المتخلِّــف عـــن ركبنـــا..

أيها المشغـول عن متابعــة سيرنـــا..

أعـذارك تتهـاوى واحـدًا تلو آخـر..

من كتم داءه أماتــه، وكل داء من هذه الأدواء بمثابة عقبة كؤود قد يلقى عندها إيمانك مصرعه وتموت همتـك، فارفع مستوى الحذر والتنبه لديك إلى أقصى درجاته، واستعد لتجاوز العقبـات التاليـة:

العقبة الأولى: الخجــــل:

انسفي[1] هـذا الحاجـز :

حاجـــز الخجـــل مـــن دعـــوة غــــيرك.

انظري أختاه إلى أهل الباطل كيف يتفننون في الدفاع عن ضلالهم دون حياء من الله أو من خلقـه..

(١) الخطاب هنا للنساء إشارة إلى أن الخطاب في كل صفحة من صفحات الكتاب موجه لهن كما هو موجه للرجال، وهذه إشارة إلى معنى الشراكة، وستجد مثلها في مواضع متفرقة من الكتاب تنبيها وتذكيرًا بضرورة الاهتمام بأخواتنا ودفعهن بقوة إلى ساحة الدعوة.

ويا لها من مفارقة مؤلمة: صاحب حق يتوارى خجلاً من طهره وصاخب باطل متبجِّح يفاخر بخبثه!

وليس بمستغرب على أهل الباطل التمادي في غيهم، فالشيطان رسم طريقهم ثم يؤزهم فيه أزًّا، إنما المستغرب: صاحب حق يفِرُّ من الميدان!!

أختاه.. إما أن تطرحي الخجل وتتقدمي بشجاعة.. وإلا تقدم غيرك من دعاة الباطل وأزاحك عن الصدارة وتسلم القيادة، قيادة أخواتك إلى النار وقذفهم في جهنم!!

أختاه.. كل خطوة تتأخرينها تساوي عشر خطوات يتقدَّمنها.

أخواتي صواحب الرسالة:

بقدر تقصيركن يكون إقدامهن... وعلى قدر هِممكن تنطفئ نارهن وتتوهَّج مصابيحكن.

أختي الصامتة:

حاولي بالتدريج.. درِّبي نفسك على حفظ حديث وإلقائه في أهلك وزوجك، ثم وسِّعي الدائرة رويدًا رويدًا في أحبابك، وبعدها: أرض الله واسعة.

أول مرة سيقل عندك الخجل والوجل، وفي الثانية يقل أكثر، والثالثة أكثر وأكثر، وهكذا... حتى يتبددا عنكِ إلى الأبد.



وبشكـل عـام.. ومـع كـل مهـارة جديـدة:

لا تتوقعي نتائج فورية عند القيام بعمل ما مرة واحدة، وإنما ينبغي عليك المواظبة بشكل متكرِّر حتى تتوصَّل إلى النتائج المرجوة والأداء المستمر.

العقبة الثانية: التشـــاؤم:

يا أصحاب الرسالة.. الأمة فيها خير كثير أنتم عنه غافلون، وصدق ﷺ: «**إذا قال الرجل: هلك الناس فهو أهلكهم**»[1].



وكل من تشاءم اليوم وما استبشر فما أطاع نبيه ﷺ ولا اقتدى به أو سلك طريقه، وانظروا إلى مواقف تفاؤل النبي ﷺ التي امتلأت بها سيرته:

مرَّ بقرية يُقال لها عثرة فغيَّر اسمها إلى خُضرة، وغيَّر اسم صحابي اسمه شهاب وسمَّاه هشام[2]، وعاصية إلى جميلة[1]، وأصرم (من الصَّرم وهو القطع) إلى زُرعة[2].

---

(١) صحيح: رواه أحمد ومسلم وأبو داود كما في صحيح الجامع رقم: ٧١٢. قال النووي: «رُوِي أهلكهم على وجهين مشهورين: رفع الكاف وفتحها، والرفع أشهر، ومعناها أشدهم هلاكا، وأما رواية الفتح فمعناها: هو جعلهم هالكين لا أنهم هلكوا في الحقيقة». شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/١٧٥.

(٢) صحيح: السلسلة الصحيحة رقم: ٢١٥. يقول الشيخ علي القرني: «إن تأنيث الأسماء جبن يورث تأنيث الشمائل والطباع، والظاهر يؤثر على الباطن، لقد كان المسلمون على عدوهم صخورًا وجنادل.. يوم كان منهم صخر وجندلا!! وكانوا عليهم غصصًا وسمومًا يوم كان فيهم مرة وحنظلا!! وكانوا عليهم حسكًا وشوكًا يوم كان فيهم قتادة وعوسجا!! ولا يرضى بالأسماء والكنى والألقاب الرخوة إلا العبيد!! وما شاعت هذه الرخاوة يوم كان ==

وندب جماعة إلى حلب شاة، فقام رجل يحلبها، فقال: ما اسمك؟ قال: مُرَّة، فقال : اجلس، فقام آخر فقال: ما اسمك؟ قال: أظنُّه حرب، فقال: اجلس، فقام آخر فقال: ما اسمك؟ فقال: يعيش، فقال: احلبها.

وكان ﷺ يكره الأمكنة منكرة الأسماء، ويأبى العبور فيها، كما مرَّ في بعض غزواته بين جبلين، فسأل عن اسميهما فقالوا: فاضح ومخز، فعدل عنهما ولم يجُزْ بينهما[3].

وهو ما علمه إياه ربه، ففي صحيح مسلم : «**إن الله سمى المدينة طيبة أو طابة**»، وكرِه أن تُسمَّى باسمها الجاهلي يثرب من التثريب وهو العيب.

وكان النبي ﷺ يحب الفأل الحسن، لأن الإنسان إذا أمَّل فضل الله تعالى كان على خير، وإذا قطع رجاءه من ربه كان على سوء، وكان ﷺ يكره التشاؤم والنظرة السوداوية إلى الأحداث، ومن ذلك أن النبي دخل على أعرابي يعوده، وكان النبي ﷺ إذا دخل على مريض يعوده قال **لا بأس طهور إن شاء الله**، فقال له: «**لا بأس طهور إن شاء الله**». قال: قلت طهور كلا بل هي حُمَّى تفور أو تثور على شيخ كبير تُزيره القبور، فقال النبي ﷺ: «**فنعم إذن**»[4].

== المسلمون سادة !! وما راجت بينهم إلا عندما أضاعوا السيادة والقيادة!! أما والله لو نادى منادي بعض هذه الأسماء في حظرة عمر رضي الله عنه لهاجت شرته وبادرت بالجواب درته!! ».

(١) صحيح: رواه مسلم والترمذي وابن ماجة عن ابن عمر كما في صحيح الترغيب والترهيب رقم: ١٩٨١.

(٢) صحيح: مشكاة المصابيح رقم: ٤٧٧٥.

(٣) كل من حديث الشاة والمرور بين الجبلين وردا في زاد المعاد ٢/٣٠٧.

(٤) صحيح: رواه البخاري عن ابن عباس كما في مشكاة المصابيح رقم: ١٥٢٩.

رأى النبي ﷺ في الحُمَّى تطهيرًا من الذنوب لأنه ﷺ ينظر دائمًا إلى الجانب المشرق في المحنة، أما الأعرابي آثر الكآبة والأحزان فاختار الهلاك والموت، فماذا كانت نتيجة التشاؤم وتوقع الأسوأ؟!

واسمع رواية الطبراني للحديث: قال النبي : «**أما إذا أبيت فهي كما تقول، وما قضى الله فهو كائن**، قال : فما أمسى من الغد إلا ميتًا»[1].

ومن هنا خرج **ابن القيم** بالنتيجة التالية:

«واعلم أن التطير إنما يضرُّ من أشفق منه وخاف، وأما من لم يُبالِ به ولم يعبأ به شيئا لم يضُرَّه البتة»[2].

يا حامل الراية.. بوسعك أن تنظر إلى العالم بنظارة معتمة، فلا ترى في العقبات سوى كومة أحزان وجعبة آلام، وبوسعك أن تنظر إليها باعتبارها ضريبة نصر وعلامة اصطفاء، فالشيء واحد والعين نفس العين لكن الرؤى تتباين.

قال **مصطفى صادق الرافعي** في كلام مصطفى يفيض صدقًا ويورث رفعة، وقد امتلك روح المؤمن المتفائلة ونظرته المستبشرة في كلام جميل صافح القلوب فأزال الكروب:

«والبطل الشديد البأس لا ينبع إلا من الشدائد القوية، والداهية الأريب لا يخرج إلا من المشكلات المعقَّدة، والتَّقي الفاضل لا يُعرف إلا من الأهواء المستحكمة»[3].

---

(١) صحيح: رواه الطبراني عن ابن عباس كما في المعجم الكبير رقم: ٧٢١٣.
(٢) مفتاح دار السعادة ٢/٢٣٠.
(٣) وحي القلم ١/٣٥٥.





صاحب الرسالة....

أشد الناس تفاؤلاً، وهو أكثرهم نشاطًا، وأعلاهم همة.. يُحسن الظن بربه..

كل عسير عنده يسير.. كل مرض لديه إلى شفاء، وكل هزيمة إلى انتصار، وكل فشل إلى نجاح..

والتفاؤل يفيض من قلبه على من حوله، ليبث روح التفاؤل في المتشائمين حوله، بل وفي الخلق أجمعين.

العقبة الثالثة: ضعف العلم:

يا صاحبة الرسالة.. إن كنت تشتكين من ضعف الثقافة فالحل هو ألا يمُرَّ عليكِ يوم دون أن تقرئي، وليكن معكِ نوتة صغيرة تدوِّنين فيها ما تقرئين، وتحفظين ما تكتبين، وتنشرين ما حفظت في من حولك.

عند حضورك أي درس أو محاضرة.. قومي بتسجيل ما يعرض لها من فوائد: «كل علم ليس في قرطاس ضاع».

وعند العودة إلى المنزل تكونين داعية بين أهلك، فتبلغين الوالدة والأخوات بما من الله عليك من علم خلال الدرس الذي حضرتيه أنت وحُرِمنه، فلا تبخلي عليهن.

تذكَّري أن احتكاكك بأخواتك المدعُوَّات وتشخيصك لأمراضهن هو الذي يدفعك إلى القراءة، وبُعدك عنهن جسدا أو قلبا هو الذي يزهِّدك فيها، بمعنى أن العلم الذي تحصِّلينه سيدفعك حتما إلى العمل، والعمل سيُحوِجِ الجسد إلى وقود وزاد، فيطلب المزيد من العلم، وما زال كل منهما يؤدي إلى صاحبه حتى تخرجين فائزة وترتقين دائمًا.

وخلاصة الحل: إذا سألتِ نفسك كل أسبوع: ماذا قرأت خلال هذا الأسبوع، فقد انحلت العقدة وعرفتِ حل المشكلة.

كونا كالنحلة..



يا صاحب الرسالة.. يا صاحبة الرسالة :

حلِّقا بين الأزهار واحملا رحيق الكتب لتستمتعا وتنتفعا، ثم تُخرِجا عسل الدعوة فيه شفاء للناس، فتنتفع قلوب العباد أيما انتفاع بما جمعتما.

صاحب الرسالة...

ساقي ينقل الماء إلى العطاش، لذا ينقل كل علم استفاده إلى من حوله لا يستبقي منه شيئا.

وأخيرًا.. أيها المعتذرة عنا بقلة علمك: فَضَحكِ حديث نبيك: «بلِّغوا عني ولو آية»، ومهما ضعفت ثقافتك فأنتِ أعلم بكثير من كثير ممن حولك.

وتذكَّري أنك لستِ كغيرك، فعلى قدرِ علمك تزداد مسئوليتك، ويزداد عملك بالتبعية، وإلا كان علمك قطعة من العذاب ولجامًا من النار.

قال الراغب الأصفهاني:

«العبادة ضربان: علم وعمل، وحقهما أن يتلازما، لأن العلم كالأُسِّ والعمل كالبناء، وكما لا يُغني أُسٌّ ما لم يكن بناء، ولا يثبت بناء ما لم يكن أسٌّ، كذلك لا يغني علم بغير عمل، ولا عمل بغير علم».



قال الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى:

«حقُّ الفائدة أن لا تُساق إلا إلى مبتغيها، ولا تُعرَض إلا على الراغب فيها، فإذا رأى المُحدِّث بعض الفتور من المستمع، فليسكت، فإنَّ بعض الأدباء قال: نشاط القائل على قدر فهم المستمع»[1].

العقبة الرابعة: ضيق الوقت:

يا من يشكو ضيق الأوقات وكثرة الأعباء، ويتخذ ذلك ذريعة للتخلف عن ركب العمل ونصرة الدعوة:

صدِّقني.. مشكلتك قلبية لا وقتية!!

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ١/ ٣٣٠ - تحقيق د محمود الطحان - مكتبة المعارف - الرياض.

ليست المشكلة في ضيق الوقت وكثرة المسئوليات، إنما أسُّ البلاء: عدم وضوح الرؤية وغياب الأولويات وضعف الهمم وتشتت العزم، ولذا ليست مهمتي معك أن أبصِّرك بتفاصيل الخطة خطوة بخطوة، بل وظيفتي أن أفتح قلبك بإذن الله، وجسدك تابعٌ له لا محالة، لتنهمر الخيرات وتتوالى الفتوحات.

لو صدق همك لجمعت الدقائق على الدقائق جمع الحريص للمال بعضه على بعض، ولادَّخرت من أوقاتك وحرصت عليها حرصك على ثروتك أن تُسرَق أو تضيع، لتجده عند اللزوم حاضرا تنفقه لدعوتك وتسخِّره لغايتك.

والله.. لو أردت تعلم فنون الدعوة لصرت فيها أستاذًا، ولو أردت هداية غيرك لاهتدى على يديك خلق كثير، لا مُحال في الحياة ما اجتمع الهَمُّ وصحَّ العزم، المهم أن تدخلها في دائرة أولوياتك: دعوتـك!!

العقبة الخامسة والسادسة: العجز والكسل:

عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال : «كيف أنتم إذا انفرجتم عن دينكم، كما تنفرج المرأة عن قُبُلها لا تمنع من يأتيها»، قالوا : لا ندري !، قال: «ولكني والله – أدري – أنتم يومئـذ بين عـاجز وفـاجر»[1].

(١) صحيح: رواه ابن ابي شيبة في مصنفه، والحاكم في المستدرك وصححه على شرط الشيخين وهو عند أحمد (المسند) بلفظ قريب، وصححه أحمد شاكر في التعليق على المسند.



وواجبٌ عليك أن تسأل نفسك في ضوء هذا الحديث:

كيف تقي نفسك من السقوط في هذين الفخين المهلكين: الفجور وهي السقطة الأفدح، والعجز وهو سُبَّة في جبين كل شريف، وإن لم يكن ذلك عن طريق حمل الدعوة والسير في ركابها فكيف يكون؟! وإن لم يكن الآن فمتى؟! وبهذا تعلم لماذا كان عمر بن الخطاب ﷺ يستعيذ بالله من جلد الفاجر وعجز الثقة.

والعجز هو الكلمة التي طلقها الدعاة يوم التحقوا بركب الدعاة، ومع أن الله عصم نبيه ﷺ من كل شر، إلا أنه كان يكثر الاستعاذة بالله ليُعلِّمنا مم تكون الاستعاذة وكيف؟!

ومن هنا استعاذ النبي ﷺ من العجز والكسل والجبن والبخل، والعلاقة بين هذه الأمراض الأربعة واضحة كالشمس في نظر رجل نافذ البصيرة الإيمانية مثل ابن القيِّم الذي قال:

«فإن تخلَّف كمال العبد وصلاحه عنه، إما يكون لعدم قدرته عليه فهو عجز، أو يكون قادرًا عليه، لكن لا يريد فهو كسل، وينشأ عن هاتين الصفتين: فوات كل خير، وحصول كل شر، ومن ذلك الشر: تعطيله عن النفع ببدنه وهو الجبن، وعن النفع بماله وهو البخل»[1].

---

(١) زاد المعاد ٢/ ٣٢٥- ط دار الرسالة. وضعف الإنسان ينتهي إلى أشياء ثمانية استعاذ منها النبي ﷺ وهي الهَمُّ والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبُخل، وضَلَع الدَّيْن وغلبة الرجل، وكل اثنين منهما قرينان، وقد أشرنا إلى العلاقة بين العجز والكسل، وبين الجبن والبخل، وبقي أن نكمل على لسان ابن القيم: «فالهم والحزن قرينان، فإن المكروه الوارد على القلب إن كان من أمر مستقبل يتوقعه أحدث الهمَّ، وإن كان من أمر ماض قد وقع أحدث الحزن، وضَلَع الدَّيْن وقهر الرجال قرينان، فإن استيلاء الغير عليه إن كان بحق وبسبب من العبد فهو من ضلع الدين، وإن كان بباطل وبغير اختياره فهو من قهر الرجال». الجواب الكافي ٤٩ - ط دار الكتب العلمية - بيروت.



وإلى الشــرح بالتفصيــل:

غياب القدرة هو العجز، وغياب الإرادة هو الكسل، والعجز كما فضحه **ابن القيِّم** هو: «مفتاح كلِّ شر»[1]، ومع هذا فإن غياب الإرادة هو الأخطر، لأنه إذا غابت قدرتك فقد تنهض الإرادة بالمهمة كلها وتقهر العجز وتحطِّمه، لكن إذا غابت الإرادة لم يعوِّضها شيء، وانظر معي حين فقد الصحابة القدرة وامتلكو الإرادة ماذا فعلوا؟!

فقد الصحابي الجليل **عُلَبة بن زيد** رضي الله عنه القدرة على الإنفاق لكنه امتلك إرادة الإنفاق، فقهرت إرادته عجزه، حتى خرج من الليل، فصلى من ليلته ما شاء الله، ثم بكى وقال: «اللهم إنك أمرت بالجهاد ورغَّبْتَ فيه، ثم لم تجعل عندى ما أتقوى به، ولم تجعل في يد رسولك ما يحملنى عليه، وإني أتصدق على كل مسلم فيه بكل مظلمة أصابني فيها في مال أو جسد أو عرض»[2].

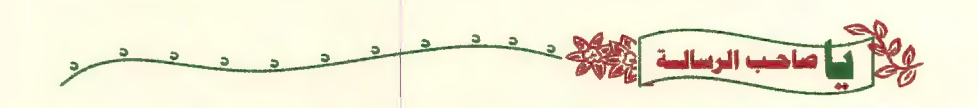
ثـم اسمـع بعدهـا أخي متلـذِّذا حديـث **أبي سعيـد**!! فما حديث **أبي سعيــد**؟!

عن **أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه قال: «بينما نحن في سفر مع رسول الله ﷺ إذ جاءه رجـل على راحلـة، فجعـل يضـرب يمينـًا وشمـالاً، فقال رسول الله ﷺ: **من كان معه فضل ظهر فليعُد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له.** قال : فذكر من أصناف المال حتى رأينا أنه لا حقَّ لأحد منا في فضل»[3].

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٤٦٠.
(٢) البداية والنهاية ٥/٥ - ط مكتبة المعارف - بيروت.
(٣) صيد الخاطر ص ٢٤٨.





هـذا الحديـث يقـول:

كل الناس يقدر.. كلهم.. لا عذر لأحد.. وهو استنفار لكل ذرة جهد.. واستصراخ أي بقايا همة..

وهو كذلك حُجة على كل قاعد لم يلحق بركب العاملين.. وطعنة في قلب التثبيط ليخرَّ على إثرها مقبورًا صريعـًا.

أخي صاحب الرسالـة.. إن لم تمـلك لسانا تحـارب بـه فامتشق سيفـًا مــردِّدًا:

لئن لم أكن فيكم خطيبًا فإني   بسيفي إذا جدَّ الوغى لخطيـب

وإن لم تملك سيفـًا تحارب به فما عليك سوى أن تُشهِر قلمك سلاحـًا بديــلاً:

ولي قلـمٌ في انملي إن هززتُـــه   فمـا ضرَّني الا أهُــزَّ المُهنَّـــدا

أخـــي.. يستحيـل أن يكلِّفك الله ما لا تطيق، كيف وقد استخلفك في الأرض، وأعطاك كل مقوِّمات الاستخلاف، وذلك لتقيم دينـه وتحمي شرعـه في الأرض، ثم تدَّعي بعدها أنك لا تقـدر!!

تبـًا لمن هذا حالـه!!



كيف أعذرك!!

وقد أصيب الدكتور مصطفى السباعي بمرض أقعده آخر سنين حياته، فما نال ذلك في عزمه وما انتقص من همته، وامتلك من الإرادة ما قهر به عجزه، ومن النية الصالحة ما رفعه إلى أعلى درجات العاملين، واستمر مرضه ثماني سنوات فما منعه ذلك من النهوض بواجباته كصاحب رسالة، فكانت فترة مرضه أخصب فترات حياته إنتاجًا فكريًا وعلميًا وأدبيًا، لأن بصيرته الثاقبة تجاوزت به رقدة المرض إلى الرقدة الأخيرة في حفرة القبر، يرجو بذلك النعيم والسرور الدائمين إلى يوم البعث، واسمع إليه يهتف على فراش المرض يلقِّنك قوة الإرادة والعزم كما ينبغي أن تكون:

فإن تكن الأيام أودت بصحتي	وعاقت خطى عزمي بكل مُسدَّد
فما كنتُ خوَّارًا ولا كنتُ يائسًا	ولست بثاوٍ في فراشي ومقعدي
سأمشي إلى الغايات مشي مكافح	ألوذ بعزِّ الله من كل معتمد
وأحمي لواء الحق من أن يدوسه	طغاةٌ غدوْا حربًا على كل مرشد

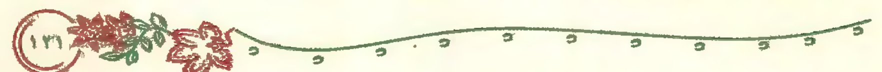
قانون المدد الإلهي

أخي في الرسالة

من حكم ابن عطاء:

«ورود الإمداد بحسب الاستعداد».

وفهم ابن الجوزي هذه القاعدة واستعملها أحسن استعمال، فإذا به يطلب من الله أن يجري على يديه ما لم يجرِه على يد غيره، بل وما لا يخطر على قلب بشر، فقال:



«خُلِقت لي همة عالية تطلب الغايات، فقلَّت السن وما بلغتُ ما أمَّلتُ، فأخذتُ أسأل تطويل العمر وتقوية البدن و بلوغ الأمال، فأنكَرَتْ عليَّ العادات وقالت: ما جرَتْ عادةٌ بما تطلب، فقلتُ: إنما أطلب من قادرٍ يخرق العادات»[1]

وهي قاعدة سارية في كل من أيقن بقدرته ووثق في استطاعته، مسلما كان أم كافرا، فالله لا يضيع أجر من أحسن عملا، وفي حالة غير المسلمين يكون أجرهم ببلوغ غاياتهم الدنيوية وتوالي نجاحاتهم، واسمع كلمات غير المسلمين لتفهم ما أقول. يقول هنري فورد:

«إذا كنت تعتقد بأنك تقدر أن تعمل شيئا، أو تعتقد أنك لا تستطيع أن تعمله، فأنت في كلتا الحالتين على صواب».

أنت إذن - أخي - من تستطيع تحديد مستوى إنجازاتك وسقف طموحاتك ونجاحاتك.. أنت ليس غير!! أنت من بيدك فشلك أو نجاحك، لأن رداء الفشل من نسج الكسل، ولذا أسألك:

ما الفارق بينك وبين كل العظماء من قبلك؟ ما الذي ينقصك لتدرك ما أدركوا؟!

أستطيع أن أقول لك أنك تملك نفس إمكاناتهم، لكنك ضائع في ظل غياب الإرادة القوية والتصميم العنيد، فمالك لا تسابق الذين لم يولدوا عظماء، لكنهم بلغوا ما بلغوه بالعزم، والعزم هو «صدق الإرادة واستجماعها»[2].

(١) نزهة الفضلاء ١٤٢٤/٣ - ط دار الأندلس الخضراء.
(٢) مدارج السالكين ٤٧٠/١.



وفي كلمات أكثر تزيد معنى العزم وضوحا وتعلن عنه في صراحة:

«هو العقد الجازم على المسير، ومفارقة كل قاطع ومعوِّق، ومرافقة كل معين وموصِّل، وبحسب كمال انتباهه ويقظته يكون عزمه، وبحسب قوة عزمه يكون استعداده»[1].

يا وريث نبي كان لا يعزم على أمر إلا أمضاه.. كيف لا تقبس من عزمه؟! قد عزمتَ على قشع الظلام وذبح المنكر، ودون عزمك موت!!

من لوازم العزم

* المداومة:

أما تغار؟! ... عزم شيخ الحرم المكي الإمام العلامة الحافظ أبو القاسم سعد بن علي بن محمد الزنجاني على مجاورة البيت الحرام، فأعدَّ لذلك ما يربو على نيِّف وعشرين عزيمة أن يلزمها نفسه من المجاهدات والعبادات، فبقي بمكة أربعين سنة لم يُخِلَّ بعزيمته منها[2]، وأحدنا اليوم نجاهد من أجل المداومة على صلاة فجر أو صيام ثلاثة أيام من كل شهر ويتعثَّر!! فأيكم ينافس هؤلاء؟!

* المثابرة:

ولنتعلم من النملة وهي تحمل البذرة متسلقة الجدار، ثم تقع عشرات المرات ومع هذا لا تيأس، ولنذكر محاولات توماس أديسون

---

(١) مدارج السالكين ١٢٣/١ - ط دار الكتاب العربي - بيروت.

(٢) نزهة الفضلاء ١٤٢٤/٣ - ط دار الأندلس الخضراء.



مئات المرات إضاءة المصباح الكهربائي وفشله، ثم استمراره في المحاولة حتى أضاء في النهاية! وانظروا كيف فسَّر هو نجاحه بأنه: «٢٪ وحي وإلهام، و ٩٨٪ عرق وجد وجهد»[١]، لذا نستطيع الجزم بأن العامل المشترك الذي يجمع كل النابغين هو المثابرة رغم الصعاب.

قاعدة نورانية

وقد فقه سلفنا قيمة الإرادة القوية، فتواصوا بها، وبهذا كتب **سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز:**

«اعلم يا عمر أن عون الله للعبد بقدر نيته، فمن خلصت نيته تمَّ عون الله له، ومن نقصت نيته نقص عنه من عون الله بقدر ذلك»[٢].

وهو ما تعلَّموه من نبيهم ﷺ الذي غرس فيهم إرادة المعروف وإن فاتهم، والعزم على فعل الخير وإن لم يدركوه...

ويشهد لهذا الأحاديث التحفيزية والبشارات النبوية في مختلف نواحي الحياة، وقد أتيت لكم منها هنا بخمسة أحاديث:

١) **الدَّيْن وسداده:** قال ﷺ: **«من كان عليه دَيْن ينوي أداءه؛ كان معه من الله عون، وسبَّب الله له رزقا»**[٣].

(١) مبدعون عبر التاريخ ص ٦٠ - د. علي الحمادي - ط دار ابن حزم.

(٢) إحياء علوم الدين ٤-٣٦٤.

(٣) صحيح: السلسلة الصحيحة رقم: ٢٨٢٢.

٢) قيـــام الليــــل: قال ﷺ: «من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل، فغلبته عينه حتى يُصبح كُتِب له ما نوى، وكان نومه صدقةً عليه من ربه»[١].

٣) الشهـــــــادة: قال ﷺ: «من سأل الله الشهادة بصدق بلَّغه الله منازل الشهداء و إن مات على فراشه»[٢].

٤) المـرض والسفــر: قال ﷺ: «إذا مرِض العبد أو سافر كتب الله تعالى له من الأجر مثل ما كان يعمل صحيحا مقيما»[٣].

٥) الصدقـــــــة: قال ﷺ: «رجل آتاه الله مالاً وعلمًا، فهو يعمل بعلمه في ماله، ينفقه في حقه، ورجل آتاه الله علمًا ولم يؤته مالاً، فهو يقول: لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل. قال رسول الله ﷺ: فهما في الأجر سـواء»[٤].

قاعدة الشريعة

ومن هنا خرج ابن القيم بقاعدة سمَّاها: «قاعدة الشريعة» نصَّ فيها على أن:

«العزم التام إذا اقترن به ما يُمكِّن من الفعل أو مُقدِّمات الفعل نزل صاحبه في الثواب والعقاب منزلة الفاعل التام»[٥].

(١) حسـن: رواه النسائي وابن ماجة وابـن حبـان والحاكـم عـن أبي الـدرداء كما في صحيـح الجامـع رقـم: ٥٩٤١.
(٢) صحيح: رواه مسلم وأبوداود والترمذي وابن ماجـة عن سهـل بن حنيف كما في صحيح الجامع رقـم: ٦٢٧٦.
(٣) صحيح: رواه البخاري وأحمد عن أبي موسى الأشعري كما في صحيح الجامع رقم: ٧٩٩.
(٤) صحيح: رواه ابن ماجة عن أبي كبشة الأنباري كما في صحيح ابن ماجة رقم: ٣٤٠٦.
(٥) طريق الهجرتين ص ٥٣٢ – ط دار ابن القيم – الدمام.

نعم أخي.. أنت تقدر على صنع أشياء كثيرة لكنك لا تعلم قدر قدرتك.. أنت طاقة هائلة لكنها مهملة، أنت ثروة زاخرة لكنها دفينة، فلا تستصغر نفسك، وفي الأثر: لو كانت همة أحدكم بالثريا لنالها.

لكن.. لماذا الأثر؟! وعندنا الواقع الحي: صحابي جليل ترجم الهمة العالية واقعا عمليا ونموذجا محسوسا، وينقلك به من خيال الكلمات إلى واقع الإنجازات حتى قلَّده النبي ﷺ وسام:

«لو كان الإيمان عند الثُّريا لناله رجال من هؤلاء.. يعني سلمان الفارسي»[1].

وقد علَّمنا نبينا ﷺ أن نية المرء أبلغ من عمله، وأن درهما سبق مائة ألف درهم، وأن أكثر شهداء هذه الأمة من أصحاب الفُرُش، وهذا دليل جازم على مكانة الإرادة وفضلها..

صدِّقوني إخوتاه .. المشكلة في الإرادة وضعفها لا في القدرة وغيابها، وهو ما نطق به شاعر الإسلام **محمد إقبال** وهو الذي أقام وحده دولة كاملة من الصفر!! ومع أنه فرد واحد لكنه سخَّر الإرادة الفذَّة على القدرة المحدودة فصارت لا محدودة، واسمع له وقد تخيَّل صوتًا سماويًا مبشِّرًا يخترق شغاف القلوب اليائسة ويحطِّم الران من حولها هاتفًا:

(١) السلسلة الصحيحة ١٣/٣. وكيف لا وكلنا يعلم رحلته الشاقة التي قطعها في سبيل بحثه عن الحقيقة حتى بلغها، وحرصه على الوصول إلى الحق حتى حازه، ولم يُقعده ثراؤه، ولم تمنعه منزلته، ولم تقيِّده مسافات شاسعة أو عادات راسخة عن الوصول إلى هدفه حتى وضع على رأسه تاج لقب: الباحث عن الحقيقة.

عطايانا سحائب مرسلات ... ولكن ما وجدنا السائلينا
وكلٌّ طريقنا نور ونور ... ولكن ما رأينا السالكينا
ولم نجد الجواهر قابلات ... ضياء الوحي والنور المبينا
ولو صدقوا وما في الأرض نهرٌ ... لأجرينا السماء لهم عيونا
وأخضعنا لملكهم الثريَّا ... وشيَّدنا النجوم لهم حصونا

العقبة السابعة والثامنة: الجبن والبخل

والجبن والبخل من أبشع الآفات وأصعب العقبات لأن سلعة الجنة غالية لا تُشترى بغير النفس والمال، وهذان يمنع من إنفاقهما الجبن والبخل، وبالتالي تبور تجارة الآخرة وتضيع الصفقة على الشاري، والعلاقة بينهما سبق وأن وضَّحها ابن القيِّم:

«تعطيله عن النفع ببدنه وهو **الجبن**، وعن النفع بماله وهو **البخل**»[1].

فالبذل المنتظر من صاحب الرسالة اليوم إما بماله، وإما ببدنه، فالبخيل يضِنُّ بماله، والجبان يضِنُّ ببدنه، صفتان متلازمتان رضعا من ثدي واحد، والتواطؤ بينهما واضح والأدلة دامغة بحيث لا تحتاج إلى شهود، لذا قال النبي ﷺ يوم حنين: «**ثم لا تجدوني بخيلاً ولا جبانا**»، وجاء في وصفه ﷺ على لسان **أنس** رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ.. وأجود

(١) زاد المعاد ٢/ ٣٢٥- ط دار الرسالة. وضعف الإنسان ينتهي إلى أشياء ثمانية استعاذ منها النبي ﷺ وهي الهَمُّ والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبُخل، وضَلَع الدَّيْن وغلبة الرجل، وكل اثنين منهما قرينان، وقد أشرنا إلى العلاقة بين العجز والكسل، وبين الجبن والبخل، وبقي أن نكمل على لسان ابن القيم: «فالهم والحزن قرينان، فإن المكروه الوارد على القلب إن كان من أمر مستقبل يتوقعه احدث الهمّ، وإن كان من أمر ماض قد وقع أحدث الحزن، وضَلَع الدَّيْن وقهر الرجال قرينان، فان استيلاء الغير عليه إن كان بحق وبسبب من العبد فهو من ضلع الدين، وإن كان بباطل وبغير اختياره فهو من قهر الرجال». الجواب الكافي ٤٩ - ط دار الكتب العلمية - بيروت.

الناس وأشجع الناس، في إشارة واضحة إلى تآخي الصفتين، ولاشتهار هذه الصلة فقد أشار الشعراء إلى هذا الترابط، فتواترت أبياتهم وتسابقت كلماتهم تمزج بين الشجاعة والكرم، فقال المتنبي:

وكلٌّ يرى طرُق الشجاعة والندى ... ولكنَّ طبعَ النفس للنفس قائد

أما عن البخل:

فقد أبان النبي ﷺ بشاعته حين قال: «**وأي داء أدوى من البخل**»[1].

وبخل صاحب الرسالة أبشع، لأن من بخل بماله فهو بالنفس أبخل، وصاحب الرسالة من بنود عقده مع الله: والموت في سبيل الله أسمى أمانينا، فأنى يلتقيان؟!

أنت طالب مجد تليد لدينك وأمتك، ومثلك يسري عليه قول **عمرو بن الأهتم**[2]:

وإنك لن تنال المجد حتى ... تجود بما يضِنُّ به الضمير
بنفسك أو بمالك في أمور ... يهاب ركوبَها الوَرِعُ الدَّثور

ومن خطورة البخل أنه قد يؤدي إلى غيره من الذنوب، ولذا كان أبو حنيفة لا يجيز شهادة البخيل، فقيل له فى ذلك فقال: أنه يتقصَّى،

---

(١) صحيح: رواه الشيخان وأحمد عن جابر كما في صحيح الجامع رقم: ٧١٠٤.
(٢) من خطباء بني تميم، وكان يُدْعى المُكَحَّل لجماله؛ وهو الذي قيل في شعره :الحُلَل المُنَشَّرَة، ولم يكن في بادية العرب في زمانه أخطبُ منه.

ويحمله التقصّي على أن يأخذ فوق حقه، ونفس الرأي اتفق فيه الشعراء مع الفقهاء، فهذا عمرو بن الأهتم مرة أخرى يقول:

ذريني فإنَّ البخل يا أم مالكٍ لصالح أخلاق الرجال سَروق

ولأن البخل وإمساك المال من أهم مولِّدات العيوب، لذا يُعاقب البخيل بعقوبتين أولهما عاجلة وهي هموم الدنيا، والأخرى مؤجَّلة إن هو جار على حق أو منع حقا وهي نار الآخرة، كما قال القائل مسجِّلا هذه الملاحظة اللغوية البديعة التي صاغها شعرًا:

النار آخر دينارٍ نطقتَ به والهمُّ آخرُ هذا الدرهم الجاري
والمرء بينهما ما لم يكن ورِعًا مُعذَّبُ القلب بين الهمِّ والنار

لذا فالبخل شرٌّ كله بحروفه الثلاثة كما قال أبو علي الجورجاني: «هو على ثلاثة أحرف: الباء وهو البلاء، والخاء وهو الخسران، واللام وهو اللوم، فالبخيل بلاء على نفسه، وخاسر في سعيه، وملوم في بخله»[1].

عَرَض ومرض!!

يقول الأستاذ فتحي يكن رحمه الله في كلام يفتح الجروح ليداويها والقلوب ليشفيها:

«وهنالك ظاهرة تكاد تكو مكررة وهي أن أكثر الذين تساقطوا على طريق الدعوة كانوا بخلاء بشكل أو بآخر!! وفي ذهني الآن أسماء

(١) حلية الأولياء ٤/٤٢٣.



مجموعة من هؤلاء كانت الشكوى منهم دائمًا أنهم يبخلون على الدعوة حتى بقيمة الاشتراكات الشهرية الزهيدة»[1].

المؤكد إذن أن البخل عرَضٌ لمرض، والمرض هنا هو إيثار الدنيا على الآخرة، وتفضيل ما عند الناس على ما عند الله، وتقديم ما سوى الدعوة على الدعوة، والعقلاء ينشغلون بأصل الداء وجذور البلاء، ذلك أزكى لهم وأطهر.

أما عن الجُبن:

فهو علامة على اهتزاز الثقة بالنفس، وضعف الصلة بالله، ووهن اليقين بالقدَر، ورِقَّة الدين، وكلٌ من الجبان والشجاع يحب نفسه؛ الجبان يحبها فيهينها وهو يحسب أنه يُكرِمها، والشجاع يحبها فيقذف بها في مواطن الشرف الدنيوي والأخروي، وقد عبَّر المتنبي عن هذا بقوله:

أرى كلَّنا يبغي الحياةَ لنفسه ... حريصًا عليها مُستهامًا بها صبًّا
فحبُّ الجبانِ النفس أورثه التُّقى ... وحُبُّ الشُّجاع النفسَ أورثه الحربا

والجبن مولود طبيعي للأم التي تُرضِع ابنها الخوف من عواقب الخطر وتبعات الرسالة، والأب الذي تأخذه عاطفته فيخاف على

(١) المتساقطون على طريق الدعوة ص ٨٥ - ط مؤسسة الرسالة.



ابنـه الأذى والسـوء، والزوجـة التي قتلـت زوجهـا بحبهـا وأقعدتـه إلى جوارها، والولد الذي يتعلـق به قلب والـده، والحاكـم الظـالم الذي يُهدِّده ويتوعَّده، كل هؤلاء يغرسون في القلب بذور الجبن.

وهل ينفع الجبن في مواجهة الموت؟! اسمع ردَّ **الغزالي** في واحدة من تأملاته في الواقع والحياة:

«إن الشجاعة قد تكلِّف صاحبها فقدان حياته، فهل الجبن يقي صاحبه شر المهالك؟ كلا، فالذين يموتون في ميادين الحياة وهم يولون الأدبار أضعاف الذين يموتون وهم يقتحمون الأخطار»[1].

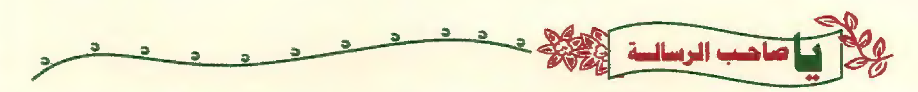
معادلة فهمها الصالحون في كل العصور، فبذلوا أرواحهم في سبيل دينهم لعلمهم أن ساعة الموت لا تتأخر لحظة، وأن زيارة ملك الموت مسجلة في اللوح المحفوظ من آلاف السنين لم تتغيَّر، لا يؤجِّلها حرص الحريص أو حذر الجبان. قال أبو إسماعيل **عبد الله بن محمد الهروي**: «عُرِضْتُ على السيف خمس مرات، لا يُقال لي: ارجع عن مذهبك، لكن يُقال لي: اسكت عمَّن خالفك، فأقول: لا أسكت»[2].

ومن جمع هاتين الآفتين المهلكتين فهو الفقير كل الفقر، المستحق للشفقة والمستوجب للإحسان كما نطق بذلك **ابن الرومي** فقال:

ومـن راح ذا حرص وجُبن فإنـه ... فقيرٌ أتاه الفقر من كل جانبِ

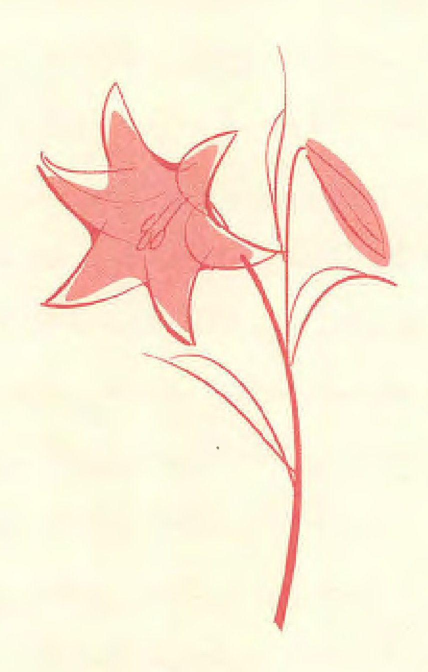
(١) تأملات في الدين والحياة ص ١١.
(٢) تذكرة الحفاظ ٣/١١٨٤.





ولا يعالج هاتين الآفتين مثل الإيمان بالقدر، وهو ما أرشدنا إليه نبينا ﷺ في حديث ليس كمثله دواء:

«لا يمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهد، فإنه لا يقرِّب من أجَل، و لا يُباعِد من رزق»(١).



(١) صحيح: أخرجه الترمذي و ابن ماجه و الحاكم و الطيالس وأحمد كما في السلسلة الصحيحة ١/٢٧١.

الفصل الرابع:

أقدّمها في اختياراتي







قال تعالى:

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

وقد جمعت هذه الآية كل أصناف العلاقات التي فُطِرت النفوس على التعلق بها والتألم لفراقها، ووضعتها كلها في كفة وجعلت الله ورسوله والجهاد في الكفة الأخرى.

لكن..

لماذا خصّ الله الجهاد بالذكر؟!

والجواب: لأن الجهاد ذروة سنام الإسلام، وكل هذه العلاقات عُرضة للانهيار من جراء الجهاد، فإنه قد يجرُّ إلى هجر الآباء والأبناء والأزواج والعشيرة الذين ترعرع المرء بينهم وألف البقاء فيهم إذا أصروا على الكفر، وكذلك الأموال والتجارات التي تصدُّ

الإنسان عن الجهاد خوفاً من البوار والضياع، والمساكن التي يؤنّقها المرء ويبالغ في تأثيثها فيصدُّه التعلق بها عن الغزو، فإذا حصل التعارض بين مراد الله ومراد العبد كان على المؤمن تقديم أمر ربه على ما سواه.

وقد أفادت كلمة ﴿أَحَبَّ﴾ التنافس بين المحبتين، وإرضاء الأقوى منهما، وفيه تنبيهك إلى أن زيادة محبة أي رابط من هذه الروابط على محبة الدين يؤدي إلى نقصان الدين، فاحذر قلبك لا يضيِّعك!!

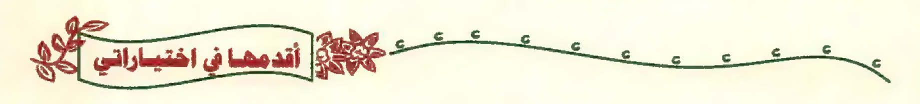
وقد أفادت الآية أن من آثر على طاعة الله سواها فليجهِّز نفسه لنزول عقوبة عاجلة و آجلة، ولينظر عندها هل أغنى عنه ما آثر على الله شيئاً؟!

﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾

وجاء التهديد صارماً كأقوى ختام لآية، وأشد تهديد مقلق لكل من آثر على الله غيره:

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

فلا هداية لهذا القلب مهما حاول، لأن الهداية بيد ربه وقد قدَّم شهوته على ربه، فأنى يهديه الله؟! أنى يهدي الله من أحب مخلوقا أكثر من الخالق، وبذل له أكثر مما بذل لولي نعمته وموجده، ويا له من تهديد مريع لكل من آثر على محبة الله ما سواها من المتاع الزائل.



اختـــبر نفســـــك!!

والعلامة الواضحة التي تختبر بها قلبك، وتقيس تقديمه أمر ربه على غيره ما أرشدك إليه **السعدي**:

«وعلامة ذلك: أنه إذا عُرِض عليه أمران، أحدهما يحبه الله ورسوله، وليس لنفسه فيه هوى، والآخر تحبه نفسه وتشتهيه ولكنه يُفَوِّتُ عليه محبوبًا لله ورسوله أو ينقصه، فإنه إن قدم ما تهواه نفسه، على ما يحبه الله، دلَّ ذلك على أنه ظالم، تارك لما يجب عليه».

والآية أشد آية نعت على الناس ما لا يكاد يتخلص منه إلا من تداركه الله سبحانه بلطفه كما يقول **الألوسي**[1].

وهو اختبار شديد، لأنك لو تتبَّعت أحوالنا ووقائع حياتنا لوجدتنا نأسى لفوات أحقر شيء من الدنيا، ولا نبالي بفوات كثير من حقوق الله مع ما معها من الجوائز الخفية في الجنة البهية.

كــلام ممتــزج بـــدم!!

يقول صاحب الظلال في كلام زاده بهاء عمل صاحبه به وتقديم روحه في سبيله لتنير حروفه وتضي كلماته:

«إن هـذه العقيـدة لا تحتمـل لها في القلـب شريكـًا؛ فإما تجردٌ لها، وإمـا انسـلاخٌ منهـا، وليس المطلـوب أن ينقطـع المسلـم عـن الأهـل

(١) تفسير الألوسي ١٩٢/٧.



والعشيرة والزوج والولد والمال والعمل والمتاع واللذة، ولا أن يترهبن ويزهد في طيبات الحياة...

كلا إنما تريد هذه العقيدة أن يخلص لها القلب، ويخلص لها الحب، وأن تكون هي المسيطرة والحاكمة، وهي المحرِّكة والدافعة، فإذا تمَّ لها هذا فلا حرج عندئذ أن يستمتع المسلم بكل طيبات الحياة؛ على أن يكون مستعدًا لنبذها كلها في اللحظة التي تتعارض مع مطالب العقيدة».

الهجـــرة نموذجـــًا



ولتبرز صورة التضحية واضحة بمثال حي، ولنا وقفة مع هجرة الصحابة إلى الحبشة، وفيها يقول الأستاذ **منير الغضبان**:

«ولا شك أن مغادرة الشباب الإسلامي مواقعه وأماكنه إلى أرض جديدة، يعاني فيها آلام الغربة والوحشة عن الأهل والوطن، هو أمر صعب وتضحية كبيرة، لا تتحقق إلا إذا كان هذا الشباب على مستوى من الإيمان العظيم يتجاوز به هذه العقبات، وأن تكون عقيدته وحبه لها أكبر من حبه لوطنه، وحنينه لقومه، وارتباطه بأرضه، أن تكون رابطة العقيدة أعمق غورًا في نفسه، وأشد أثرًا في قلبه من أية رابطة أخرى مهما سمت وعلت.

وخاصة أن الهجرة لهذه الأرض النائية، والمعيشة بين قوم غير قومهم يتكلمون بلغة غير لغتهم، ولهم تقاليد وعادات ودين غير عاداتهم ودينهم وتقاليدهم هي على النفس أشق وأقسى على الروح، فما لم يكن جنود الحركة الإسلامية على المستوى المذكور من الإيمان، فلن تنجح القيادة في تنفيذ خططها ومخططاتها.

إننا ونحن اليوم في القرن العشرين، وفي وسائل المواصلات الضخمة التي اختصرت الأشهر بالساعات، وبالارتباط العالمي القائم في دول الأرض من حيث الاتصال، لو دُعينا إلى الهجرة إلى الحبشة لأحسسنا بثقل ذلك وصعوبته، ووجدنا من يتلكَّأ عن الإجابة، وسماعنا بالحبشة بالذات يجعل الوحشة والرهبة هي المسيطرة على كياننا لو دُعينا لذلك»[1].

١) في زواجه:

الزواج عند صاحب الرسالة وسيلة لا غاية، وسيلة لإعفاف نفسه وصرفها عن الحرام، ووسيلة لبناء بيت مسلم هو لبنة في بناء مجتمع مسلم، ووسيلة لإنجاب ذرية صالحة ترث الرسالة وتواصل المسيرة، ووسيلة لعونٍ يجده المرء من زوجه على طاعة ربه ومرضاته، ولهذا جعله بعض السلف واجبًا لا تكتمل عبادة العابد إلا به، فعن **طاووس** قال: «لا يتم نسك الشاب حتى يتزوج»[2].

(١) المنهج الحركي للسيرة النبوية ص ٦٥-٦٦ بتصرف يسير.
(٢) سير أعلام النبلاء ٤٢/٥.

وصاحب الرسالة يختار زوجة تحمل نفس همه، يشغلها ما يشغله، تدفعه إلى العمل ولا تُقعِده، وتكون عونًا له لا عليه، أما إن تزوج دنيوية الهوى، امرأة أقصى طموحاتها نزهة وفسحة، ومسكن وحُلة، فهذا قد أجهض بيتا مسلمًا من بيوتات الدعوة، لتشكِّل الزوجة قيدًا في رجله كلما أراد الانطلاق، وسلسلة تغل يده عن الإنفاق لدينه اذا انشرح له صدره، ومسمارًا في نعشه حين يبقى في الدعوة جسدًا بلا روح، يأخذ منها ولا يضيف، ويقتات عليها ولا تنتفع منه بشيء.

ومن أراد الدليل فليراجع السجلات عند من تفطَّرت قلوبهم حزنا على إخوانهم المنتقلين كما يقول أستاذنا **القرضاوي** إلى «جوار زوجاتهم»، وهؤلاء أثبتوا أن ولاءهم للدعوة ناقص، وإيمانهم بمبادئهم مجروح، قد آثر أحدهم زوجةً لجمالها أو لأنّ هواه معها على حساب صاحبة الرسالة وربيبة الدعوة.

وكم رأينا في الطريق إخوة كانوا ذوي همة ونشاط قبل زواجهم، ثم خبت عزيمتهم وانطفأت همتهم بعد زواجهم بسبب الزوجة وهمها، بل وكم رأينا أخوات في ذروة نشاطهن الدعوي قبل الزواج، لكن سرعان ما خبت حماستهن بعد ارتباطهن بزوج عادي ليس له «دعوة»، فكان القعود والسكون عقب النشاط والحركة.

والناظر في سيرة الرسول ﷺ في ابتداء دعوته، وموقف أم المؤمنين الأولى السيدة خديجة رضي الله عنها، يعلم دور زوجة صاحب الرسالة، فكانت أمنا خديجة مدرسة تتخرَّج منها زوجات الدعاة وأصحاب الرسالات... لقد آمنت به فكانت أول المؤمنين والمؤمنات، وواسته بمالها، وأعانته بكريم عشرتها وحسن مشورتها، وصبرت على تعبد زوجها في الغار وابتعاده عنها أيام الجاهلية، ثم صبرت على بعده عنها أيام الإسلام في سبيل تبليغ دعوة الله.

وهي مع هذا... الشاطئ الذي يلقي عنده كل همومه وغمومه، وينفِّس فيه عن نفسه ما يلقاه من أذى المشركين، فلا عجب أن أحبها المصطفى حبًا لما أحبه أحدًا سواها، وظل يذكرها بعد موتها حتى غارت منها أحب زوجاته إليه بعدها عائشة ابنة الصديق.

ولا غرابة أن بُشِّرت ببيت في الجنة من قصبٍ، لا صخب فيه ولا نصب؛ تعبت هنا فعوفيت هناك، لأن الجزاء من جنس العمل.

وكم من بيتٍ في الجنة ينتظر زوجة تؤازر زوجها اليوم في حمل رسالته؛ تقتدي في ذلك بأمها خديجة لتحظى في الجنة بشرف لقائها وعبير صحبتها.

افتح يا فتحي!!

يقول الأستاذ فتحي يكن:

«أعرف أخًا كان قبل زواجه مقدامًا معطاء، ولقد نُكِب بزوجة سيئة وضعت الموت والفقر بين عينيه، فكانت كلما رزق منها بغلام ذكرته

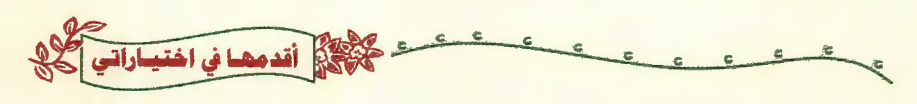
بحقه (المادي) عليه، وأن عليه مضاعفة السعي من أجله، ولما تكاثرت ذريته وامرأته على هذه الشاكلة سقط في الامتحان، وأصبح عبدًا للدينار بعد أن أصبح عبدًا للزوجة، وهو حتى الآن لم يحس بالجريمة التي ارتكب، وبالهاوية التي فيها سقط، ولقد نسى ما كان يُذكِّر به إخوانه والناس ((**تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش**)) »[1].

إن اختيار الزوجة الصالحة هو يمثِّل بحقٍ خطوة مفصلية في حياة كل داعية، إما أن ترتقي به أو تخسف به وبهمته...

ورُبَّ داعية صمد أمام طغيان ظالم واستئساد باغي، لكنه لقي حتفه على يد زوجة ذات طمع دنيوي وتطلعات مرهقة، وهي ظاهرة قديمة جديدة، حذَّر منها سلفنا الصالح أول ما ظهرت، فهذا **مالك بن دينار** يقول:

«ينطلق أحدهم فيتزوج ديباجة الحرم - وكان يقال في زمان مالك ديباجة الحرم لأجمل الناس - أو ينطلق إلى جارية قد سمَّنها أبوها ويزفوها حتى كأنها زبدة، فيتزوجها فتأخذ بقلبه فيقول لها: أي شيء تريدين، فتقول كذا وكذا. قال مالك: فتُمرِض والله دين ذلك القارىء، ويدع أن يتزوجها يتيمة ضعيفة، فيكسوها فيؤجر، ويدهنها فيؤجر»[2].

(١) المتساقطون على طريق الدعوة ص ٨٤ – ط مؤسسة الرسالة.
(٢) حلية الأولياء ٢/٣٨٠.



٢) في عملـــــــــــــه:

وتقديـم الدعوة في اختياراتـك يتحقـق حـين:

- ← ترفض عملاً فيه مال حرام أو شبهة حرام.. مؤثـرًا ما عند الله والحـــلال.
- ← تختار عمـلاً براتـب أقـل في سبيـل أن يتوفَّر لك وقـت تبذلـه لدعوتـك ودينك.
- ← تؤثر مهنة لها طابع دعوي ومركز تأثيري وإرشاد وتوجيه كالتدريس في المدارس أو الجامعات ووسائل الإعلام.

والعاقبة رائعة رائعة دنيا وآخرة. يقول الأستاذ **محمد أحمد الراشد**:

«ولقد رأينا دعاة نكلفهم، ونطلب منهم التفرغ للغة، أو القناعة بوظيفة دون أخرى أقرب لساحة العمل، أو يصبرون أنفسهم، وهم من طلقاء أنفسهم- على ثغرة يربطون عليها، فيعلم الله منهم التجرد، فيُعوِّضهم خيرا مما لو كانوا استجابوا للحساب الدنيوي الظاهر.

منهم داعية نال الدكتوراه في الهندسة في جامعة أمريكية راقية، وأمامه منفذ لتدريس جامعي في الخليج براتب ضخم، فيرشح للتفرغ لنشر الدعوة فيهم، فيلبي، فيعوضه الله بوظيفة في ساحة عمله لا تشغله غير يومين، ويضعف ما رضي به أولاً.

وآخر تحجز له وظيفة في المنامة، وهو من حملة الماجستير، ويشجعه أصحاب له، وينتظرونه، فنقول له: المنامة تنيم القلوب. وبيشاور

توقظها. وهي تهبط بالهمم، وبيشاور تعليها، فيزيد إلى خطوته خطوة أخرى فقط، فإذا هو بأجواء الجهاد يسرح، ويقرب المجاهدين يمرح، وراتبه النقي ليس أقل من الراتب المكدَّر»[1].

٣) في ماله:

وتقديم الدعوة في اختياراتك المالية يشمل:



❋ التضحية به:

وقد تم توضيح هذا المعنى في فصل سابق.

❋ الزهد فيه:

المال فتنة واختبار عظيم صعب، ومثل الثرِيِّ المستمسك برسالته الباذل في سبيلها مَثَل المجاهد، والغني الزاهد اليوم يوشك أن يقارع المجاهدين في نيل الثواب وتحصيل رضا رب وهَّاب، وهؤلاء قلة بين الناس، يصفهم **عبد الوهاب عزام** بقوله:

«لله رجال لا يعبدون المال، إن نالوه نثروه، وفي الخير بذروه، وإن فاتهم لم يُتبِعوه ندما، ولم يُدموا وراءه كفا ولا قدما، تملك الدنيا أيمانهم، ويصرِّفها إيمانهم، ولكنها لا تملكهم، ولا في شباكها تربكهم، تمتلئ بها

(١) تقرير ميداني ص ٣٢.

جيوبهم وتخلو منها قلوبهم، إن أقبلت لا تُضِلُّهم، وإن أدبرت لا تُذِلهم، وهي عندهم إلى الخير بلاغ، وعدة لدفع عاتٍ وباغ، وليست إلى البغي وسيلة، ولا عدة لاقتراف رذيلة، إنما المعالي كسبهم، والله حسبهم»[1].

لا تفعل

❁ المغــــــرم:

وهو فخ يقع فيه أصحاب الرسالة حين يسقط أحدهم فريسة لتطلعات دنيوية تجذبه نحو دائرة الحرام دون أن يشعر، بعد أن أسدلت غشاوة الطمع فوق عينيه، فيسقط أولا تحت طائلة الديون، ثم تأتي الخطوة الثانية من الحيلة الشيطانية: تعثر في السداد.

وحينها تدور العجلة وتبدأ المرحلة رقم (٣): التهرب من الغرماء، والاجتهاد في التخلص منهم بكل وسيلة ممكنة.

ويدفعه هذا إلى الرابعة وهي الأفدح والأشد حيث الحرام الصراح، والمتمثل في الكذب وخلف الوعد.

ولذا كان النبي ﷺ يستعيذ بالله كثيرا من المغرم، وفي أشرف المواضع على الإطلاق: الصلاة، حتى أثار ذلك انتباه أصحابه فسألوه يوما عن السبب، وهاكم نص الحديث كما ورد في الصحيحين:

عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يدعو في الصلاة يقول:

---

(١) النفحات ص ١٢٧.



«اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم»، فقال له قائل :ما أكثر ما تستعيذ من المغرم يا رسول الله!! فقال : **«إن الرجل إذا غَرِم حدَّث فكذب، ووعد فأخلف»**(١).

❁ الحـــرام والشبهـــة:

قد يتأثر صاحب الرسالة بالبيئة المحيطة، ويعتريه ما يعتري الناس من الضرورات التي تبيح في نظره المحظورات، فيخوض في الحرام ويتخلى عن المثاليات، ويقع في المحظور وهو يشعر أو لا يشعر، ويخدعه الشيطان بالضرورة تارة وبالضعف البشري تارة حتى يظفر به.

صاحب الرسالة يشعر أنه مصطفى مختار، لذا فهو في كل الأحوال رابح؛ إن ضاق عليه رزقه، رأى في ذلك حماية الله له من غنى يطغيه، ومتاعٍ ينسيه حق ربه ويلهيه، وهذه علامة من علامات محبة الله له كما أخبر بذلك النبي ﷺ:

«إذا أحب الله عبدًا حماه في الدنيا كما يحمي أحدكم سقيمه الماء»(٢).

أما إذا اتسع رزقه فقد أفاض الله عليه ليفيض على غيره، وأكرمه ليُكرِم من حوله، فالرضا في كل حين شعاره ومراد الله راحته ومراده.

---

(١) صحيح: أخرجه الشيخان كما في مشكاة المصابيح رقم: ٩٣٩.
(٢) صحيح: رواه الترمذي والحاكم والبيهقي عن قتادة بن النعمان كما في صحيح الجامع رقم: ٢٨٢.



البخل:

تزداد المسئوليات لتزحف على الواجبات، ويبدأ الجور على نصيب الدعوة من المال تحت ضغوط المعيشة المتزايدة، وما درى أن سر بركة ماله في إنفاقه، وما اطلع على الغيب ليرى المال المضاعف المعد له إن هو أنفق، ولا درى ما حجب الله به من المصارع من جراء إنفاقه، ويضيِّع الممسك كل هذه الثمرات ببخله وجهله.

تشتت الهم:

كان **أبو الدرداء عويمر بن زيد** ﷺ حكيم الأمة وسيد قراء دمشق يقول: أعوذ بالله من تفرقة القلب. قيل: وما تفرقة القلب؟! قال: «أن يُجعل لي في كل واد مال»(1).

رحم الله هذا القلب النبيل.. قلب محصن لا تخترقه رصاصات الدنيا مهما انهمرت عليه ليظل عصيا على الركوع يأبى الانكسار أمام رياح المادية الهوجاء، ورحم الله من اقتدى واهتدى.

الحسد:

وعلام يحسد عامة الناس بعضهم؟! على شيء غير دنيا تزول ومالٌ غدا عنه مسئول!! والله إنه انقلاب الموازين وانحراف الفطرة.

---

(1) صفة الصفوة ١/٦٣٩.



قال أبو الـدرداء ﷺ: «من لم يعرف نعمة الله عليه إلا في مطعمه ومشربه فقد قلَّ عمله وحضر عذابه»(١).

وكفى بشوم الحسد أن أُخرِج به إبليس من الجنة، وكفى بخطورته أن الله حذَّر منه أحب خلقه إليه ﷺ فقال:

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ [الأنبياء: ١٣١].

ومن هنا رأى محمد بن سيرين في النجاة منه أكبر نعم الله عليه، فقال:

«ما حسدتُ قط أحدا على دين ولا دنيا، وذلك من أكبر نعم الله سبحانه وتعالى عليَّ»(٢).

ولا تُجنى ثمـرة ترك الحسـد إلا بالزهـد في الدنيـا، كما قال ذلك فرقـد السَّبخـي:

«دواء تـرك الحسـد هـو الزهـد في الدنيــا»(٣).

٤) فــي علاقاتـــــــه:

من هم من يبثهم صاحب الرسالة أسراره ونجواه؟ من أقرب الناس إلى قلبه؟ هل هم حاملـو رسالة مثله أم غيرهم؟! هل مؤشِّر قلبه

(١) حلية الأولياء ١/ ٢١٠.
(٢) تنبيه المغترين ١٢٧.
(٣) تنبيه المغترين ١٢٦. قال الفقيه أبو الليث السمرقندي: «يصل إلى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل حسده إلى المحسود، أولاها: غم لا ينقطع. الثانية: مصيبة لا يؤجر عليها، الثالثة: مذمة لا يحمد عليها، الرابعة: سخط الرب، الخامسة: يغلق عنه باب التوفيق».

يتحرك مع دينه؟! هل يحب لله ويبغض لله؟! من أولى الناس بقلبك يا صاحب الرسالة؟!

إن العلاقات التي تربط صاحب الرسالة بغيره من الناس لابد أن يكون مركز توجيهها الدعوة والتحكم فيها من خلال العاطفة الإيمانية.

إن الصاحب يدل على صاحبه، والخليل تسري إليه خصال خليله، وباطنك يظهر من أصحابك، والمخالطة تؤثِّر وتورِث أخلاقا من المخالطة، ولقد امتدح بعض الشعراء ملكا جوادا، فأعطاه جائزة سنية، فخرج بها من عنده، وفرَّقها كلها على الناس فأنشد:

لمستُ بكفي كفَّه أبتغي الغنى   و لم أدرِ أنَّ الجود مِنْ كفِّه يُعْدي

٥) في وقته:

صاحب الرسالة:

← لا يبذل لدعوته ما دام فارغا، فإذا انشغل بدنياه هجرها.

← لا يؤثر على دعوته ولا يتأخر عنها إن طلبته.

← لا يبذل للدعوة فضول أوقاته وبقايا هباته.

← لا يبذل وقتا من غير نية ولا يتحرَّك إلا بهدف.

← لا يهمل الأشياء الصغيرة التي تُضيِّع الوقت فضلا عن الكبيرة، ويهتم بتوفير دقيقة أو دقيقتين كل يوم، فهذه تصنع اختلافًا كبيرًا على مدار العمر، وليست حياتنا في مجملها أكثر من مجموعة من الدقائق ومنها الساعات والتي بدورها تلد الأيام.



التقديم في الاختيـــــارات:

❁ **الـــــــــــزواج** : (اختـر الإجابـة المناسبـة لـك)

☐ حين أختار زوجتي أقدِّم معيار حمل الدعوة و العمل لها على المعايير الأخرى: (الجمـال، المـال، الحسـب).

☐ أرى أن تكون زوجتي ذات دين وخلق، وليس بالضرورة أن تكون من الأخوات العاملات في الميدان الدعوي.

☐ أرى أن تكون زوجتي على قدر مقبول من التدين مع قيامي بعد الزواج بتعهدها والارتقاء بمستواها الإيماني والدعوي.

☐ أرى أن النشاط الدعوي قد يشغل زوجتي عن القيام بحقوقي كزوج، لذا اخترت زوجتي من خارج بيوت الدعوة.

❁ **العمـــــــــــل**:

١) أهتم في اختياري للعمل أن يكون مناسبًا لظروفي الدعوية، فلا يطغى بوقته على دعوتي و إن كان هذا العمل براتب أقل. [نعم ☐ لا ☐]

٢) أرتِّب ظروفي الدعوية حسب العمل الموجود؛ لأن راتبه بالكـاد يكفي البيت ولا يطيق أن ينتقص منه. [نعم ☐ لا ☐]

٣) أحرص على أن يكون عملي بعيدا عن مثار الشبهات. [نعم ☐ لا ☐]



٤) أفضِّل عند اختياري للعمل أن يكون ذا طابع دعوي توجيهي مباشر لأؤثِّر في الآخرين. [نعم ☐ لا ☐]

أغتنم الفرص داخل العمل لأوصل صوت الدعوة إلى زملائي.

.. [نعم ☐ لا ☐]

❁ المـــال:

١) أنفق منه باستمرار في سبيل الله مهما كان راتبي صغيرًا. [نعم ☐ لا ☐]

٢) أقتطع من أصل مالي إذا ألَّمَت بالمسلمين نازلة، و أكيِّف ظروف معيشتي على أقل مما تعودت عليه. [نعم ☐ لا ☐]

٣) أدرِّب نفسي باستمرار على الزهد وأراقب قلبي من حين لآخر في عدم تعلقه بالدنيا.

.. [نعم ☐ لا ☐]

٤) أحرص على ألا أستدين مهما كانت الظروف وأعيش في مستوى راتبي. [نعم ☐ لا ☐]

٥) أبتعد تمامًا عن أي عمل أو مال فيه شبهة. [نعم ☐ لا ☐]

❁ العلاقـــات:

١) أقرب الناس إلى قلبي أصحاب الرسالة مثلي. [نعم ☐ لا ☐]

٢) أقرب الناس إلى قلبي زملاء الدراسة و العمل. [نعم ☐ لا ☐]

٣) أقرب الناس إلى قلبي أقاربي. [نعم ☐ لا ☐]



الفصل الخامس

في مسارات الحياة





لماذا العمل على مسار الحياة؟!

- ❁ لأنـك تقضي أكثر أوقـات يومـك مع هـؤلاء.
- ❁ لأنها لا تتطلب وقتًا مستقطعًا، وإنما تُمارس بصورة طبيعيـة وسـط ثنايا حياتـك.
- ❁ لأن أكثر النـاس يقضون معظم حياتهم في أعمالهـم بعـد ما أرهقتهم لقمة العيش والسعي على الرزق، وهؤلاء لا فرصة لهم في سمـاع موعظـة من خطيب وانتشال على يد داعيـة إلا من كـان حولهـم في ميـدان العمـل أو الجيـرة.
- ❁ لأن صاحب الرسالة يغـار أن يفقـد لحظـة واحـدة في غـير عمـل لدينـه.

صاحب الرسالة.. في كل لحظة له طمع في الأجر، يعلم أن أكبر سرعة في الوجود: سرعة هروب الأوقات، لذا يلاحق وقته بجِدٍّ، ويسابق يومه وغده، ويرى في كل لحظة ضائعة فرصة ضائعة، وفي كل غفلة عن أجر تفريطا في نصر، وكم من لحظة ضاعت فأضاعت؛ أضاعت في الجنة قصرا، وفي الفردوس صحبة، ويوم القيامة استراحة في ظل العرش حيت تلهب الشمس الرؤوس وتصهر الأجساد.



ولا تزال كلمات ابن حجر تدق آذان الزاهدين في الثواب قائلاً:

«فينبغي للمرء أن لا يزهد في قليل من الخير أن يأتيه، ولا في قليل من الشر أن يجتنبه، فإنه لا يعلم الحسنة التي يرحمه الله بها، ولا السيئة التي يسخط عليها بها»(1).

أما المجال فأوسع مما تظن، وهاك إجمالاً:

عن أبي برزة قال: قلت يا رسول الله.. علِّمني شيئًا ينفعني الله تبارك وتعالى به، فقال:

«انظر ما يؤذي الناس فاعزله عن طريقهم»(2).

فالأمية والبطالة والفقر والجهل والمرض، وإقصاء القرآن عن منصة التشريع، والانهيار الحضاري والأخلاقي والعلمي، وانتهاك حقوق الإنسان، والانبهار بالحضارة الغربية، وتداعي الأمم علينا من كل جانب، والحملة الشرسة على الأمة، وتدنيس اليهود للأقصى واقتحاماته، وكل هذه المنكرات تؤذي المسلمين، وقد اتسع الخرق على الراقع، فمن يعزل هذا الأذى ويميطه عن طريق وعقول أبناء الأمة؟!

نريد صاحب رسالة متشعبة جذوره في أهل مدينته وجيرته وقرابته يستحيل معها اقتلاع حبه من قلوبهم والولاء له من صدورهم، وهذا

(1) فتح الباري ٣٢١/١١ - ط دار المعرفة ببيروت.
(2) رواه أحمد عن أبي برزة - تعليق شعيب الأرنؤوط : حديث حسن، وهذا إسناد ضعيف لضعف أبي هلال الراسبي.

هو التحدي المقبل في ظل مادية شرسة وعجلة حياة لا ترحم وخطة تستهدف الدعاة لتلهيهم عن غايتهم وتصرفهم عن جمهورهم.



المسار الأول: العمـــل:

وللدعوة في ميدان العمل شرطان لازمان يمهِّدان الطريق للقلوب ويلوون أعناق الناس إلينا إعجابا:

تميـز خلـقي: فيعرف صاحب الرسالة بصدقه وأمانته وخدمته للناس ووقفه معهم في السراء والضراء.

تميـز مهـني: مما يجعل كلمته مسموعة بين زملائه، ذلك أن لسان العمل أنطق من لسان القول، وجميل الفعل أزجر من حسن الوعظ.

وذلك في ظل إعلام شوَّه صورة أهل الصلاح عمدا، وساعده على ذلك وجود نماذج لم يُحدث الإيمان فيها أثره، أو لم يكتمل تهذيبهم فأساؤوا لدين الله، ودورنا الحيوي ومهمتنا الشاقة: محو الصورة الباطلة ونشر الصورة الناصعة لتستقر في القلوب بعد أن تأسر العقول.

والمنتظـر من أصحـاب الرسالـة في ميـدان عملهـم الحيـاتي:

- أن يقدِّموا من أنفسهم القدوة الحسنة سواء في جانب الخلق والسلوك العام أو الانضباط والالتزام أو الحرص على إجادة المهارات المهنية الفنية المتخصصة لكل مهنة.
- إقامة مصلى والدعـوة إلى الصلاة في وقتها خاصة في رمضان، واغتنـام الفرصـة لدعـوة من لا يصـلي، وتوزيـع هديـة له عـن فضـل الصـلاة وبركتهـا.
- بيان الحكم الشرعي فيما يخص كل مهنة لأصحابها.
- حث العاملين والمتعاملين مع المؤسسة على التزام القيم الحميدة مثل: احترام الكبير، والرحمة بالعجزة والأرامل، وحفظ اللسان من الغيبـة والنميمـة والألفاظ غير المناسبة، عدم قبول عطايا مقابل الخدمـة، غض البصر، وتشجيع الحجاب، اجتناب التدخين خاصـة عنـد التجمـع، إفشـاء السـلام، سرعـة إنجـاز مصالـح النـاس... وغـيرهـا.
- المشاركة الفعالة في الأنشطة الترويحية مع العمل على صبغها بالإسلام مثل الرياضات والرحلات والمسابقات.
- تقديم الخدمـات المهنيـة والمساعـدة في تدريـب المستجدين وإسـداء النصـح لهـم.

ضابط الشرطـة الداعيـة:

وانظـر إلى ضابـط الشرطـة، وكيـف يمكن لعمله أن يساعده على تبليغ الرسالة ويكـون عونـًا له عليهـا، وذلك من خـلال حيـاة

الأستاذ صلاح شادي رحمه الله، وهي وصية الإمام البنا له أول ما التقاه. قال رحمه الله عن هذه الوصية:

«وما زالت أصداء كلماته في قلبي حتى اليوم: إنك ومن على شاكلتك من ضباط الشرطة أول من يعنيهم الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أنتم الرعاة الحقيقيون الذين تقع عاتقهم مسئولية الحفاظ على أموال الناس وأعراضهم وأنفسهم، وهذه المسئولية إن لم تنطلق من مخافة الله والحفاظ على دينه والتمكين لشرعه في الأرض، فلن نتقدم بالمجتمع الذي ننهض بحراسته.

وإنك تستطيع أن تجعل من نقطة البوليس التي تعمل فيها منارًا للهداية، بل من كل مكان لك فيه سلطان تستطيع أن تحقق بهذا السلطان ما أعجز كثيرًا من المصلحين، ويزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن!»[1].

وقد نفذت هذه الكلمات إلى قلبه واستقرت في وجدانه، فنفَّذ رحمه الله الوصية أجمل تنفيذ، وحوَّل نقطة الشرطة المسئول عنها إلى نقطة نموذجية، حتى جاءه أحد المفتِّشين يوما للتفتيش على حوادث النقطة بعد مضي عام من استلامه لعمله، وأدهشه أن يرى انخفاض نسبة الحوادث - الجنايات والجنح - عن نسبة السنة الماضية .. حتى ظنَّ أن كاتب النقطة لابد وأن يكون أهمل تسجيل الحوادث في الدفتر المنوط تسجيل الحوادث فيه.

---

(١) صفحات من التاريخ حصاد العمر ص ١١ - صلاح شادي - شركة الشعاع للنشر - الكويت.

وقد تحدَّث رحمه الله في مذكِّراته عن موقف رائع من مواقف صاحب الرسالة، وذلك حين انتُدِب إلى الطور لحراسة المعتقلين هناك إثر حادث أليم جرى بين طاقم الحراسة القديم وبين المعتقلين من أرباب السوابق، انتهى بفاجعة دامية قُتِل فيها ما يزيد على عشرة من المعتقلين بدعوى التمرد والرغبة في الهروب. قال رحمه الله وهو يصف تفاصيل توليه لهذه المسئولية:

«وضمتنا باخرة واحدة - الضباط الجدد - وكان الشعور الذي يملأ قلوب الضباط هو شعور بالتحدي لهؤلاء المعتقلين بالرغم من إجماع الضباط بناء على الوقائع المروية على تسرع قائد المعتقل في إطلاق النار وفي إيصال الحال إلى ما وصل إليه من سوء، وبالرغم من شعور طاقم الضباط الجدد بالظلم الذي لحق بهؤلاء المعتقلين، فإنه أدهشني منهم تحفزهم لمواجهة الموقف بالتحدي والمبادأة بالعدوان بدعوى عدم ترك الفرصة للمعتقلين بالشعور بضعف الضباط الجدد، وجرى بيني وبين الإخوة الضباط حوار حول معنى الرحمة التي تلازم رسالتهم في إصلاح النفوس، ولكن دون جدوى، فقد كانت قاعدة التعامل التي تشربت بها نفوس الضباط هي القهر ما دامت القوة بيدهم والضعف والحيلة إذا عجزوا عنها.

ولكن كانت هذه المناقشة سببًا في أن يسند إلى مسئولية أمن المعتقل بالأسلوب الذي أراه.

وكان عليَّ أن أنظِّم حراسات المعتقل، ولكن كانت المشكلة هي حراسة السجن المبني الذي يقيم فيه أحد المعتقلين من ذوي النفوذ في

داخل المعتقل وخارجه، فلم يكن يقبل إغلاق باب الزنزانة عليه،ولم يكن في استطاعة أحد أن يجبره على ذلك!! بالرغم من حدة الأحداث التي انتهت بقتل مجموعة من زملائه كما أسلفنا.

كان ريان وهو اسم الشهرة لهذا المعتقل، فارع الطول ضخم الجثة، ومع ذلك كانت قسمات وجهه توحي ببراءة الأطفال، وكانت حوادثه التي اشتعر بها والمدونة في الدوسيه الخاص به في إدارة الأمن العام توحي بفظاظة قلب هذا المجرم العتيد، حتى إن أوراقه في إدارة الأمن العام تروي أنه استدرج أحد أعدائه إلى ماكينة خارج إحدى القرى وقذف به في داخل الفرن الذي توضع فيه الأحطاب والوقود!!

ولم أجد بُدًا من الذهاب إلى ريان وإغلاق باب الزنزانة عليه!!

وذهبت إليه، وألقيت عليه السلام، فأجابني بصوت لا يكاد يسمع، وظل جالسًا على مقعده إلى جوار فراشه! ولم يزعجني أسلوبه فقد وطّدت العزم على المضي في الترفق به رغبة مني في إيجاد الثقة بيني وبين المعتقلين.

وبدأت حديثي معه مغفلاً استنكار تصرفه، مواسيًا في الحادث الأليم الذي أقام هذا الحاجز بينه وبين الضباط، مشيرًا إلى أن الأسلوب الأمثل يقوم فقط برعاية المعاني الإنسانية بين صاحب السلطان ومن دونه.

وفاجأني بالرد في جفاء قائلا: كلكم تقولون ذلك ولكن تعملون غير ما تقولون، وأجبته في هدوء بنص الحديث الشريف: «**كل بني آدم خطَّاء، وخير الخطَّائين التوابون**»، وأنت أيضا تقول غير ما تعمل!

وتحاول أن تكون فاضلا ولكن تدفعك نوازع الشر فتأتيه، وكلنا يجب أن ينصح أخاه، أنت تنصحني في ما تراه من خطأ، وأنا أنصحكفي ما أراه من خطأ، وربت على كفه مسترسلاً:

«لا فارق عندي بيني وبينك إلا في ما يراه الناس، أما ما عند الله وهو الأهم فمن يدري؟! فلعلك تبت إلى الله توبة أحرقت كل سيئاتك، وجعلتك أقرب إليه مني.. من يدري؟!».

وبدت الدهشة على وجهه، ولكنه استمر في عناده قائلا في استنكار: «ومن قال لك أني راغب في التوبة؟!».

واستوقفتني جرأته! وأجبته في هدوء:

«وجهك خلقه الله كما يبدو في براءة الأطفال، واستطردت أقول لا أحد يخلو من الخير، ولعل الله يغفر لك ما قد سبق، وضحك الرجل ملء شدقيه، ثم رفع إلى رأسه واختفى طابع التحدي الذي كان يبرق في عينيه، ورأيت بدلا منه نظرة حزينة تنبي عن انكسار وأسف، وتساءل غير مصدِّق: ربنا يغفر لي؟ يغفر لي إيه واللا إيه واستطرد في يأس: يا عم اقفل هذا الباب واتركنا في حالنا في الأكل والشرب والحراسة، وأجبته على الفور: أنا جئت خصيصا لأفتح هذا الباب عليك بعد أن أغلقته أنت على نفسك، رسالتي معك، نفسك أولاً، وبعدها الأكل والشرب والحراسة.

وابتدرني بسرعة متسائلاً: هو أنت ضابط ولا واعظ؟ وأجبته أيضًا على الفور: الإسلام ليس فيه ضابط أو واعظ، فيه مسلمون فقط دور

كل مسلم رعاية أخيه والأخذ بيده وإيصال كلمة الله إليه في أي موضع كان فيه كلاهما، ضابطا أو معتقلا، حاكما أو محكوما.

واستغرقني الحديث ساعتين أو أكثر فقد كان يائسًا من الناس ومن الله، وبدأت أقهر يأسه حين رويت له ما سمعته بقلبي يوما من حديث حسن البنا في أول ليلة رايته فيها وهو يقول:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦]

وظننت أن قلبه بدأ ينفتح لي، ورأيت بواكير يقظة حين نهض بعد أن انتهيت من الحديث معه يحاول أن يقبِّل رأسي وهو يقول: يا شيخ ده كلام حلو.

ودار في خاطري أنه ربما يضمر غير ما يظهر، ولكن ذلك لم يمنعني من القيام من غير أن أطلب منه شيئا، فقد كان يدرك بفطنته أن نظام الحراسة يقتضي إغلاق الباب، وكرِهت أن يظن أنني أتقاضاه ثمن تلطفي معه، فمضيت تاركا الحال على ما وجدته عليه.

ومضت أيام كنت أزوره فيها لأتحدَّث إليه، حتى شعرت أنه بدأت تربطني به مودة، وبدأ هو الآخر يسعى إلي مطمئنا إلى الحديث معي عما يشغله من أموره، وبدأ يأسه يتبدد فعلا، ويسأل كيف يتوضأ وكيف يصلي، حتى زرته يوما فوجدته يبكي، فسألته فردَّ بقوله إنه يبكي على نفسه، ماضيه الذي لا يعرف إلى أين أوصله، وحاضره الذي لا يعرف

ماذا يفعل به!! وحدثته مطمئنًا أن مشاعره هذه هي أول طريق العودة إلى الله، وتركته في غرفته لأمضي إلى العنبر المجاور.

ومضيت إلى العنبر المجاور، عنبر المشتبه في قواهم العقلية - وإن كان غالبهم يتظاهر بالجنون حتى يتسنى له الذهاب إلى القاهرة لحين الكشف عليه ليمكث بها حتى يمكنه ذلك من رؤية أسرته والبعد عن هذا المنفى الذي تهدر فيه آدميته مهما كانت نتيجة الكشف الطبي بعد ذلك.

ودخلت العنبر وكان الضجيج والصراع يملآن الآفاق، وإذا بأحد المعتقلين يجري من أول طرقة العنبر متخيلا نفسه قطارا ويخرج من فمه صوت صفارة القطار ودوي عجلاته!! حتى إذا قارب منتصف العنبر رجع من حيث بدأ يعاود الكرة مرة بعد مرة، وفي كل مرة يقترب مني شيئا فشيئا، بينما أنا أتحدث إلى زملائه سائلا كل منهم عن شكواه.

وكنت أتوجس شرًا من سلوك هذا المعتقل، وشككت في أمره، وتصورت أنه ربما يريد من وراء هذه الحركات أن يقترب مني ويصطدم بي! حتى إذا سقطت أو سقطت قبعتي يكون ذلك إيذانًا بإهدار كرامة طاقم الضباط القادم، وتبدأ ملاحم العدوان بين المعتقلين والإدارة من جديد.

وتوقف تفكيري عن العمل حين حدث ما توقعت، وجرى إلي بسرعة ورفع يديه محاولا ضربي على رأسي!! كنت مستبعدًا أسلوب

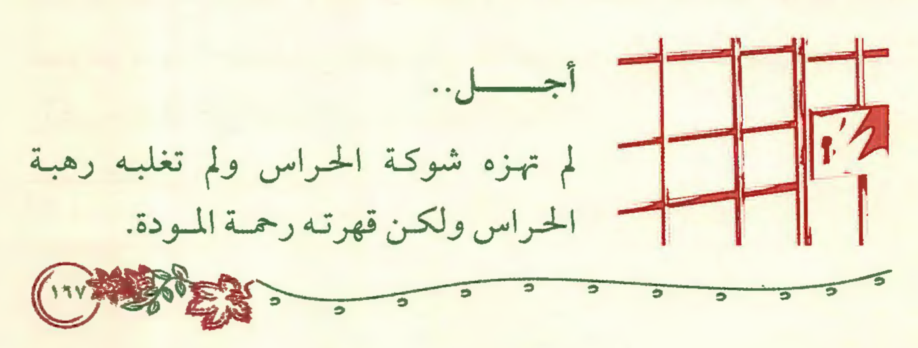
العنف تماما.. في نفس الوقت كنت حريصا على ألا أمكن هذا المجنون أو متصنع الجنون مما يريد.

ولكن شلَّ تفكيري عن المضي في إنفاذ الموقف وتسمرت قدماي، ووقفت لا أحرك ساكنان ولشدة ذهولي رأيت شخصا يأتي من وراء ظهري ثم يرفعه بيديه وكأنه دمية خشبية، ثم يقذف به بعيدا إلى ركن العنبر، وصرخ الرجل متما تمثيليته.. كما لو كان القطار قد توقف!!

وكان ريان وراء هذا الإنقاذ الرباني الذي أتاني في اللحظة الأخيرة حين همَّ هذا المعتقل برفع يده ليهوي بها على رأسي، ويبدو أن ريان كان يتوقع ما سيحدث فمضى على أثري بعد أن تركته في غرفته ليرفع ما يمكن أن يلحقني من إيذاء كان يتوقعه أو يعلم به، وشكرته بكياني كله.

وملأت صورة ريان مخيلتي وأنا أخطو خارج العنبر، فقد كان هذا السلوك منه أكبر من أن يوصف، وكان لتدخله في اللحظة المناسبة أثره الفعال في منع كارثة جديدة تزيد الهوة بين الضباط والمعتقلين.

ولكن زادت دهشتي وأنا أسمع ريان بعد أن ذهب إلى غرفته ينادي الشاويش ويقول تعال يا شاويش اقفل عليَّ باب الزنزانة، وذهب الشاويش ليغلق عليه باب الزنزانة للمرة الأولى.



أجـــــل..

لم تهزه شوكة الحراس ولم تغلبه رهبة الحراس ولكن قهرته رحمة المودة.

وهكذا أُغلقت أبواب السجن في الطور لا بيد الحراس ولكن بأيدي المعتقلين أنفسهم.

لقد أُفرج عن المعتقلين بعد ذلك وعاد ريان إلى بلده ليصارع حكم الإقطاع هناك. حدثني بعض الإخوة بعد سنوات من هذا الحادث أن ريان عاد إلى بلدته بغير الوجه الذي خرج به، فقد انتظم في علاقته بشعبة الإخوان هناك، والتقى بالإمام الشهيد وعرَّفه بقصة توبته، وظل يصلي ويصوم ويستغفر الله عن آثام ماضيه.

ولكن طبيعته التي لا تعرف البعد عن الصراع، والتي غالبته في الماضي في الشر، عادت لتغالبه هذه المرة في الخير، فكان ينتصف لفلاحي قريته الفقراء من طغيان أصحاب النفوذ، وحث الناس على مواجهة سارقي خبزهم، حتى ذاع صيته، وبدأ يهدد كيان الباشوات الذين تربصوا لقتله، ونجحوا في إسكات صوته... وبكيت عند سماعي لنبأ مصرعه... وبكيتُ مرة أخرى وأنا أسمع الإمام الشهيد يروي قصته ويتحدث عنه في معرض خروج الأستاذ **أحمد السكري** وغيره من صفوف الجماعة فيقول:

«كيف حولت المودة قلوب العتاة والمجرمين إلى قلوب رقيقة صافية صلبة، تصارع الباطل وتواكب الحق، وتبذل حياتها حفاظًا عليه، بينما عجزت مودة أحبابنا عن الكف من التشهير بنا، لا حفاظًا على حياتهم، ولكن حفاظًا على لعاعة من لعاعات الدنيا!!»[1].

---

(١) صفحات من التاريخ حصاد العمر، ص ٢١-٢٨ بتصرف، صلاح شادي - شركة الشعاع للنشر - الكويت.

وقد آثرت أن أورد هذا الموقف على طوله لأدلِّل على أن لا شيء يُقعِد عن الدعوة، وأن حرص صاحب الرسالة على توصيل رسالته هو حل معضلة اليوم، وأن المحال لا وجود له في قاموس الدعاة، وأن همتنا تتصل بقوة ربنا العظيم الجبار، بينما همة أعدائنا تستمد من كيد الشيطان؛ إن كيد الشيطان كان ضعيفـاً.

المـــدرِّس الداعيـــــة:

- تستطيع أن تتقرب من تلاميذك بالهدية غير المتكلفة والمعاملة الرقيقة والشرح المستفيض ومساعدة غير النابهين.
- التواصل مع البيت لحل مشكلاتهم عملة نادرة في زمن انتشر فيه الشح والأثرة وإهمال الآخرين وعمل كل شيء بمقابل.
- عمل مسابقـة يوميـة ثقافية أو دينية مع جوائز فورية يضفي روح المـرح في الأجـواء.
- اختر طالبـاً منهم ليكتب على حديثاً كل يوم على السبورة.
- قم بإعداد كلمة توجيهية غير متكلفة آخر خمس دقائق في كل حصة توصـل فيهـا معنى أو تعلـق فيهـا على ظاهـرة سلبيـة أو تثني فيهـا على أخـرى إيجابيـة.
- ساهم في الإشراف على الإذاعة المدرسية واحرص على إعداد المناسب والتجديد في فقراتها.

- تولي مسئولية جمعية من جمعيات النشاط في المدرسة، واغتنمها في توجيه جهد الشباب درءا للفراغ ودفعا للحرام الزاحف.

تجربة ناجحة

معلم في مدرسة فوجئ عندما سأل طلابه من صلى الفجر اليوم؟ فإذا بالقلة القليلة هي التي صلت الفجر، فأهمَّه الأمر وجعل جوائز لمن يصلي الفجر في المسجد، وخلال أسبوع واحد صلى الجميع، لكنه تفاجأ بمن يتصل من الآباء قائلين: هؤلاء صغار والبرد شديد!

الحـــل: دلَّه بعض الفضلاء الأذكياء على حل هذه المشكلة، فقال: ابدأ الأسبوع القادم بسؤال الطلاب: من قبَّل يد والديه؟! فكان النتيجة خلال أسبوع، فعاد وقال الحمد لله الجميع يُقبِّل رأس والديه، قال: الآن اؤمرهم بالصلاة، فلن يأتي أب يشتكي لأنك أعطيته ما يريد وأرضيته![1].

الطبيب الداعية:

إن الطبيب الذي يعالج أمراض الأبدان بوسعه إن خلصت نيته وصحَّ عزمه أن يعالج أمراض القلوب، والطبيب الماهر إذا أجرى عملية جراحية لمريض، وكتب الله لها النجاح، فإن ذلك الطبيب سيكون في عين المريض بمثابة المنقذ البطل، حتى إذا ما ألقى الطبيب

(١) الدعوة إلى الله، ص ٥٠ بتصرف، عبد الملك القاسم - دار القاسم.



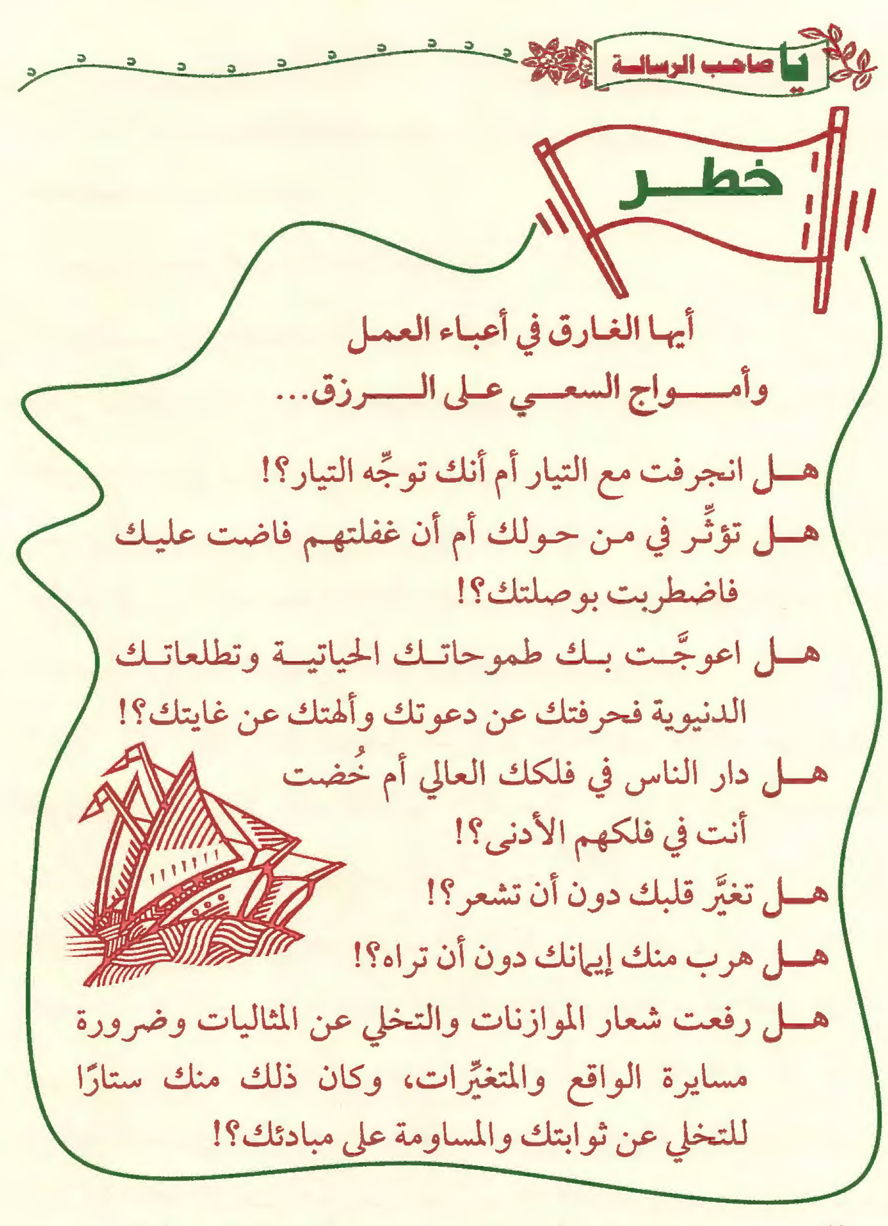
كلمة في أذن المريض تلقاها بصدر رحب وسارع في التنفيذ، فيداوي القلوب والأجساد معًا.

يقول الأستاذ **محمد أحمد الراشد**:

«وينتسب إلى صفوف الدعوة مئات الأطباء، ولكن خمسين منهم يمكن أن يكونوا من صناع الحياة حقًا، وهم الذين تخصصوا بجراحة القلب والدماغ والعمليات الصعبة ونالوا أعلى الشهادات فى ذلك، والذين تخصصوا بعلاج السرطان والطب النفسي، وما وازى ذلك، فإنَّ الجرَّاح يجري ألف عملية خلال عشر سنوات على الأقل، ومع كل عملية يشكره أبناء المريض وأشقاءه وأصدقاءه وجيرانه.

فإذا كان نبهًا: انتقى منهم عشرة فوطَّد معهم علاقته من مركز القوة، ويظل يتصل بهم تلفونيا وبالمراسلة، ويبارك لهم أعيادهم، ويعزِّيهم عند المصائب، ويرسل لهم الكتب والأشرطة، ومن خلال كل ذلك يؤذن فيهم أن آمنوا، وأنَّ الإسلام حق، وأنَّ رجال الإسلام أخيار، وتعاونه سكرتارية نشطة فى ذلك وتقوم بتذكيره، فيحصل بذلك على ولاء واحد على الأقل منهم حتى لو أهدرنا التسعة، أي يُقدِّم للدعوة ألف ولي خلال حياته الطبية الدعوية، أي تحوز الدعوة خمسين ألفًا عبر أذان الأطباء الخمسين من صناع الحياة، وهذه ثروة عظيمة تُضافُ إلى رصيد مصرفنا أعظِم بها، بل بنصفها، بل بربعها»[1].

(١) صناعة الحياة، ص ٥٠، محمد أحمد الراشد – ط دار المنطلق.



خطــر

أيها الغارق في أعباء العمل
وأمـــواج السعـــي عـلى الـــرزق...

هــل انجرفت مع التيار أم أنك توجِّه التيار؟!
هــل تؤثِّر في من حولك أم أن غفلتهم فاضت عليك فاضطربت بوصلتك؟!
هــل اعوجَّت بك طموحاتك الحياتية وتطلعاتك الدنيوية فحرفتك عن دعوتك وألهتك عن غايتك؟!
هــل دار الناس في فلكك العالي أم خُضت أنت في فلكهم الأدنى؟!
هــل تغيَّر قلبك دون أن تشعر؟!
هــل هرب منك إيمانك دون أن تراه؟!
هــل رفعت شعار الموازنات والتخلي عن المثاليات وضرورة مسايرة الواقع والمتغيِّرات، وكان ذلك منك ستارًا للتخلي عن ثوابتك والمساومة على مبادئك؟!

للمزيد من هذه النماذج قم بزيارة الموقع الإلكتروني: (www.sahebresala.com)، وسجل تجربتك الناجحة أو تجربة غيرك، وساهم في إعداد ملحق لهذا الكتاب تحت عنوان: ١٠٠ فكرة دعوية

ناجحة في العمل، تستطيع تحميله بسهولة بعد اكتماله من الموقع، ونـل بذلك أجر الصدقـة الجارية الرائـع النافـع.

المسار الثاني: الأقارب والأرحام:

ويمكـن لصاحـب الرسالـة أن يستهـدف مجموعةً من المستهدفات في هــذا الاتجــاه :

- ✓ تعهدهم بتفقد أحوالهم والزيارة لهم مع صبغها بآداب الإسلام .
- ✓ يدعو العائلة الكبيرة كلها لقضاء يوم مشترك خاصة في المناسبات الاجتماعية والأعياد مع إعداد برنامج ترفيهي لليوم يراعي آداب الشرع، مسابقات للأطفال مع توزيع جوائز لهم، وأداء الصلـوات في جماعـة.
- ✓ تشجيع أعمال التكافل والدعم المادي وإصلاح ذات البين .
- ✓ الحرص على توجيه الدعوة إليهم عند المشاركة في الرحلات والأيام الاجتماعية للأجواء الإسلامية والدعوية .
- ✓ إقامة بعض المسابقات الترفيهية والرياضية والشرعية مع رصد جوائز تشجيعية لذلك .
- ✓ الاحتفال العائلي بالمناسبات الإسلامية والاجتماع على الإفطارات والذبائح مع تطبيق الهدى النبوي الشريف في ذلك .

للمزيـد مـن هـذه النمـاذج قـم بزيـارة الموقـع الإلكـتروني: (www.sahebresala.com)، وسجل تجربتك الناجحة أوتجربة غيرك، وساهم في إعداد ملحق لهذا الكتاب تحت عنوان: ١٠٠ فكرة دعوية

ناجحة في العمل، تستطيع تحميله بسهولة بعد اكتماله من الموقع، ونل بذلك أجر الصدقة الجارية الرائع النافع.

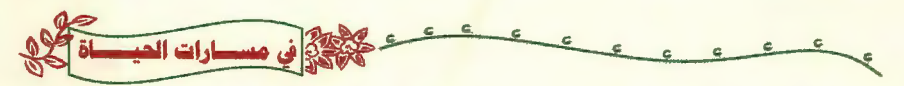
المسار الثالث: الجيــران:

ويمكن لصاحب الرسالة أن يقوم بالآتي :

- ✓ المسارعة بالتصدي للمشكلات كانقطاع الكهرباء والمياه وطفح المجاري والنظافة .
- ✓ الاشتراك في مجالس إدارات العمارات. والمشاركة فيها بفاعلية.
- ✓ تشجيع السكان على التعاون للاستيقاظ لصلاة الفجر والذهاب للمسجد .
- ✓ الاهتمام بالاحتفال بالمناسبات الاجتماعية للسكان مثل نجاح الأبناء والمواليد والزواج .

تجارب ناجحة

- والدٌ دعا جيرانه للاحتفال بحفظ ابنه لأول جزء من القرآن جزء عم، واغتنم الفرصة ليتكلم عن فضل القرآن، ويوزع الجوائز على الجميع، وكانت فرصة طيبة لأولياء الأمور أن يتعرفوا معه كيف نجح في ذلك، وكيف لهم أن يكرِّروا تجربته.
- وآخر اعتاد أن يدعو جيرانه من شباب عمارته السكنية مع أصدقائه على إفطار رمضان، ويوم عرفة، وعاشوراء، ويغتنم الفرصة للإيصال معنى وتجديد إيمان.



للمزيد من هذه النماذج قم بزيارة الموقع الإلكتروني: (www.sahebresala.com)، وسجل تجربتك الناجحة أوتجربة غيرك، وساهم في إعداد ملحق لهذا الكتاب تحت عنوان: ١٠٠ فكرة دعوية ناجحة في العمل، تستطيع تحميله بسهولة بعد اكتماله من الموقع، ونل بذلك أجر الصدقة الجارية الرائع النافع.



نموذج: صوّب نحو الهدف

- كل يوم عند استيقاظك قل: اللهم اجعل يومي خيرًا من أمسي، وغدي خيرًا من يومي.
- ابدأ كل يوم بوضع هدف واحد يتحقق في اليوم نفسه أو في جزء من اليوم في مجال من مجالات حياتك (العمل - الجيران - العائلة).
- تحرَّ في الهدف أن يكون محددًا مثل:
  - اليوم سأصحح مفهومًا خاطئًا لدى أحد الزملاء.
  - اليوم سأوصل إلى ابني أو ابنتي مفهوم كذا.
  - اليوم سأوقظ جاري لصلاة الفجر.
  - اليوم سأفتح موضوعًا مع زميل العمل.

- احرص على توفير الإمكانات لتحقيق هذا الهدف من تحضير لموضوع أو تكلف مدخل للحديث.
- ابذل غاية الجهد في تحقيقك هدفك اليومي.
- أثناء التنفيذ تابع هل يتحقق الهدف أم لا؟! فإن كان يتحقق فاستمر، وإلا طوِّر الوسيلة أو غيِّرها.





كلامٌ كثير وعملٌ قليل

قعقعة ولا طحن

عزفٌ بلا طرب

ألا ما أسهل الكلام وأشقَّ العمل

هذه هي سنة الله في كونه : بغير جهد البشر لا انتصار

وأنت من بيده أن يقرِّب نصرنا أو يباعده

أن ينسج خيوط فجرنا أو يبدِّده.

فمتى تـــــأتينا؟!

هل تبسط يدك تبايعني

هلم أيها الحائر..

والله يؤيدك

ويرفع درجتك

ويخلع عليك كرامته





ولكـــن متـــى؟!

دعوتك في الانتظار

دينك يستصرخ الأحرار

أمتك في أتون النار

ويحــــــك..

خطــط الدعــاة توضــع لك فتنــــام

آمال الأمة تتجه نحوك فتهرب

الكل يرمقك فتختبئ؟!

أيكــــون حالـــــك:

سألتك حاجة فأجبتَ فيهــا ... بأحسن ما يكون من الجــواب

فلمــا رُمتُهــا رُمــتُ الثُّريـــا ... فصارت حاجتي فوق السحاب

فلا تكـن عن نصحـي مُعرِضـًا وإن كـان مؤلمـًا

فوالله ما أنطقـني غـير الألــم..

الألــــم...

الألم على أمة تاهت عن رسالتها

ودعاة عاجزين.. يتألمون ولا يتحرَّكون



من يوقف مسلسل الانهيار؟!

من يتصدى لتبجح الكفار؟!

يا حارس البوابة..

من إن لم يكن أنت؟!

كيف تستسلم لما أرادوا فرضه عليك؟!

كيف لا تتحرك لمسخ هوية، وسلاح ديننا يُسرق من بين أيدينا لنلقى العدو المدجَّج ونحن عزَّل من السلاح غنيمة باردة وجثة هامدة.

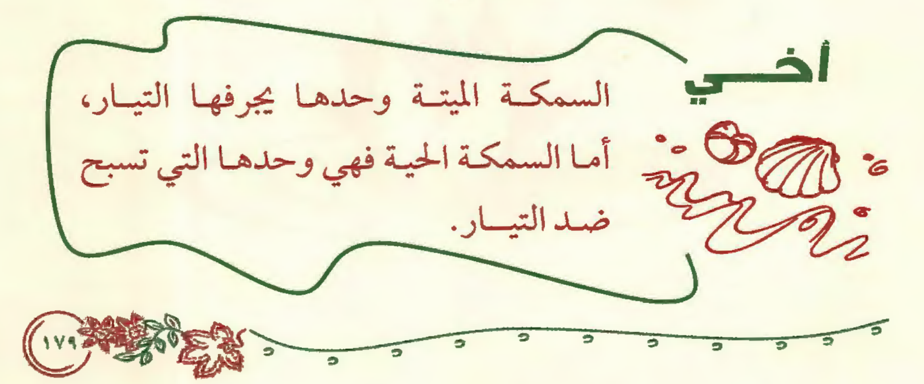
كل هذا ينتظر منك ثورة

وقد جعل الله الأمر بين يديك

والأمانة الكبرى في عنقك

فما أنت صانع؟!

كل تأجيل أو تأخير اليوم لا معنى له سوى أنك مشارك في الجريمة.. متواطئ مع العدو!!



أخــي

السمكـة الميتـة وحدها يجرفها التيـار، أمـا السمكـة الحيـة فهي وحدهـا التي تسبح ضـد التيـــار.



فأين عقبك وما خلفت من الخير؟

هـذا المكـان الـذي مـررت بـه أيـن أثـرك فيـه؟!

المكان: مسجـــد..

المكان: جامعــــــة..

المكان: ساحـــة عمـــل..

المكان: جـــيرة أو قرابــــــة..

المكان: صحبـة طريـق.. رفقـة سفـر..

ألا لا بــارك الله في حيــاة لا تــترك في النــاس أثــرا،

أو تــزرع فيهــم خــيرا...

وما أنا بالذي يدعي الشوق قلبه ويحتج في ترك الزيارة بالشغل





رسالة قصيرة ووصيـــة أخيـــرة..

قلبٌ خراب كيف يعمر قلوب الآخريـن؟!

علاقته منقطعة بربه فكيف يصل الناس بـه؟!

بئر غاض من الماء فهل يأوي إليه الظمآى؟!

الإنـاء بما فيه ينضح، وفاقد الشيء لا يعطيـه.. فعمله ممحوق البركة وإن أكثر الحركة، ولا يستوي نتاجه وإن طالت أبراجـه وكثرت فجاجـه.

اسمعوهـــا إخوتـــاه:

أبى الله أن يجمـع قلـوب العبـاد إلا على مـن أحـب.

وأعيذكم بالله من أن تكونوا أو أكون ممن قال عن نفسه:

أمرتُك الخيرَ لكن ما ائتمرتُ به

وما استقمتُ فما قولي لكَ استقمِ


محتويات الكتاب


تم بحمد الله





أولاً: الكتب:

١) شباب جنان (كتاب + كتيبات متفرقة: سلامة قلبك - غرامة تأخير - أحلى صحبة - نقطة رجوع):

سلسلة تستهدف الشباب، فالشباب بذرة غالية منحها الله لكم يا شباب، وترك لكم أن تختاروا الأرض التي تبذرون فيها:

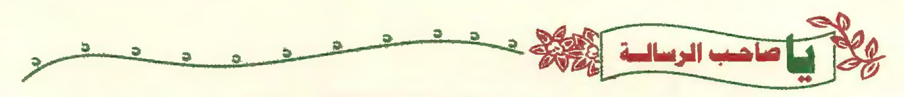
إما الأرض الطيبة وهي بيئة الخير على أن ترعوها وتتعاهدوها بغيث الإيمان وزاد الخير، وتحموها من الآفات والمهلكات، وإما أن ترموا بها في أرض بور هي صحبة الشر؛ حيث لا ماء يروي القلب ولا هواء ينعشه ويغذِّيه.

والثمرة الأكيدة: شجرة ساقها من ذهب في الجنة تستظلون تحتها، أو شجرة زقوم ملتهبة في جهنم تُعذَّبون بها، ولكم وحدكم مطلق الاختيار.

٢) معاً نصنع الفجر القادم:

كتاب يبث الأمل في القلوب ويبشِّر بحتمية الانتصار عن طريق إشاعة: خماسية الألم، وخماسية الأمل، وخماسية السُّنن، وخماسية العمل، وخماسية الهمم.





٣) **رُدَّ إليَّ روحي (بجزءيه: بأي قلب نلقاه وجرعات الدواء):**

موسوعة قلبية شاملة موضوعها القلوب، وتتناول قصة قلب أصيب بأمراض خطيرة أوشك معها على الهلاك، فأُدخِل العناية المركزة الإيمانية، وهناك امتنع عن كثير من آفات عديدة كانت سبب مرضه، ثم تلقى جرعات دواء مكثفة قارب معها على الشفاء، لكنه تعرض لانتكاسة مفاجئة أنقِذ منها في آخر لحظة، ثم واظب على العلاج حتى أتم الشفاء، وأنهى فترة النقاهة، ثم خرج بفضل الله أقوى وأفضل مما كان، يُداوي ويشفي بإذن الله غيره بعدما تداوى وشُفِي.

٤) **هبي يا ريح الإيمان (كتاب + كتيبات متفرقة):**

كتاب يحوي عشر نسمات تهدف إلى زيادة الرصيد الإيماني ودعم الذاتية التعبدية.

٥) **سباق نحو الجنان:**

كتاب يتناول صفات القلوب المتسابقة نحو الآخرة، ورسوم الاشتراك في السباق، مع ذكر الواحات التي تأوي إليها القلوب، والعقبات التي تعترضها، مع وصايا عشر تساعد على البدء فورا في السباق.

٦) **صفقات رابحة (كتاب + كتيبات متفرقة):**

عشر صفقات تعبِّر عن عشر عبادات متنوعة تتضمن كل صفقة منها: تسهيلات الصفقة أي ما يعينك عليها، وأرباحها وتشمل ثوابها الذي يدفعك إليها، والشروط الجزائية.





٧) رحلة البحث عن اليقين:

يتناول معنى اليقين، وكيف غرس النبي ﷺ اليقين، والعقبات التي تحول دونه، وتوائم اليقين، وكيف الوصول إليه.

٨) رحلة المشتاق .. العمرة:

كتاب جديد في موضوعه يحوي فوائد جمّة ومعاني غزيرة تكشف الأسرار الباطنة للعمرة.

٩) رحلة المشتاق .. الحج والعمرة:

كتاب يشمل أسرار العمرة إضافة إلى أسرار من الحج، وهو ضعف كتاب العمرة تقريبا، وفيه قرابة ضعف فوائده.

١٠) أول مرة أصلي:

وهو هذا الكتاب الذي بين يديك، وهي رائعة من روائع ابن القيم، هذَّبتها وبسطّتها وشرحتها وأضفت إليها أضعاف معانيها، لتجعل بإذن الله لصلاتك طعما آخر ومذاقا أروع، وستحس أنك لم تكن تصلي قبلها، فشتان ما بين صلاتك هذا الكتاب وصلاتك بعده، ومن هنا جاء اسم الكتاب، لأنها تجربتي الشخصية معه التي أردت أن أنقلها لك، ولا أحرمك منها مثقال ذرة، فأقبل على حياتك الجديدة في ظل صلاتك اللذيذة الممتلئة بالمعاني الجليلة.

١١) ونطق الحجاب:

وهي رسالة تخاطب الأخت المسلمة تعلمها االطريق إلى أفضل حجاب من خلال سردها لثمرات الحجاب المزهرة، وأشواك التبرج المهلكة، ويركِّزالكتاب على الحجاب كسلوك قبل أن يكون زيًا.

ثانياً: الإصـــدارات الموسميـــة:

١٢) مـن الطـــــــارق:

هو كتاب يتناول شهر رمضان كزائر عزيز، معه الهدايا الغاليات، والتي تتطلب منا رد الجميل من قيام ودعاء وقرآن.

١٣) سهــام الخيـر .. عشـر ذي الحجــة:

يحوي عشر عبادات موزّعة على الأيام العشر مع التحدُّث عن فضائل هذه العبادات، مع تمهيد بفضل هذه الأيام.

١٤) المهاجــرون الجــدد:

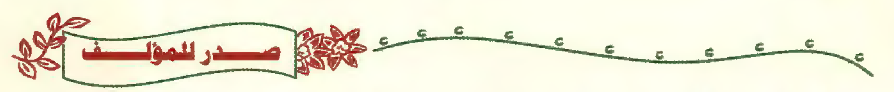
دروس ثمانية من الهجرة من تمثَّلها نال أجر المهاجرين وإن لم يقطع الصحارى والقفار.

١٥) الاعتكـاف .. تربيـة الأيـام العشـرة:

يتحدَّث عن مقاصد الاعتكاف العشرة، مع إبراز أفضل عبادات المعتكف، والتعرُّض لسموم الاعتكاف أي محظوراته.

١٦) يـا صاحــب الرسالــــة:

كتاب يخاطب من حمل دعوة الإسلام، واحترق قلبه كمدا على حال أمتنا، فأضاء بهمته ما حوله، وفي الكتاب: علامات حمل هذا الهَمِّ النبيل، وكيف يُقدِّم صاحب الرسالة الدعوة في اختياراته من اختيار زوجة وبذل وقت، وكيف يضمن أن لا تفارقه في أي من لحظات حياته، وما هي الحواجز التي تحول بينه وبين هذا الهدف



النبيل، وما الذي يجعل الخير ينتفض من بين جوانحه تهيب بالناس أن يهتدوا، ويلتحقوا بالركب المبارك والقافلة التي يقودها سيد الكونين محمد.

ثالثاً: قريباً:

١٧) رمضان ثورة التغيير:

كتاب رمضاني يستهدف تعظيم الاستفادة من رمضان باعتباره ثورة حقيقية في كل مجالات الحياة: العاديات والعبادات والسلوكيات والعلاقات، ويستهدف اغتنام رمضان في تغيير لا يتاح في غيره من الأشهر لبركة.

١٨) رمضان حي لم يمت:

رسالة تستهدف توضيح الطريق إلى الثبات على الطاعة بعد رمضان، وكيف نستغل الشحنة الإيمانية المكتسبة فيه، وتضمن عدم تسربها في وقت قصير أو طويل.

١٩) المعركة الأخيرة:

كتاب يهدف إلى تجسيد عداوة الشيطان لديك إلى عداوة حسية ملموسة، وعلى شكل معركة لأن هذه هي حقيقة العلاقة بينك وبينه، وذلك عن طريق استعراض عداوة الشيطان التاريخية لك، واستعراض أسلحته والأسلحة المضادة لمواجهة كل سلاح من أسلحته، مع وضع خطة تفصيلية خطوة بخطوة للتغلب عليه ودحره ذليلاً صاغرًا.

